المجالس الفاخرة

في

(مآتم العترة الطاهرة)

مؤلفه

اقل خدمة الدين الاسلامي

واحقر سدنة المذهب الامامي

عبدالحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي

٣٨٢٢٤

طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميل بلائه وجليل عزائه والصلاة والسلام على اسوة انبيائه وعلى الائمة المظلومين من اوصيائه ورحمة الله وبركاته

اما بعد فهذا كتاب ﴿المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة﴾ وضعته تقرباً اليهم في الدنيا وتوسلاً بهم في الآخرة سائلاً من الله سبحانه ان يكون خالصاً لوجهه الكريم انه الرءوف الرحيم

﴿مقدمة﴾

الاصل العملي يقتضي اباحة البكاء على مطلق الموتى ورثائهم بالقريض وتلاوة مناقبهم ومصائبهم والجلوس حزناً عليهم والانفاق عنهم في وجوه البر ولا دليل على خلاف هذا الأصل بل السيرة القطعية والأدلة اللفظية حاكمان بمقتضاه بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأمور اذا كان الميت من اهل المزايا الفاضلة ، والآثار النافعة ، وفقاً لقواعد المدنية وعملاً باصول العمران لأن تمييز المصلحين يكون سبباً في تنشيط امثالهم ، واداء حقوقهم يكون داعياً الى كثرة الناسجين على منوالهم ، وتلاوة اخبارهم ترشد العاملين الى اقتفاء آثارهم ، وهنا مطالب

﴿المطلب الأول﴾ في البكاء ولنا على ما اخترناه فيه (مضافا الى السيرة القطعيه) فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله وتقريره اما الأول فإنه متواتر عنه في موارد عديدة (منها) يوم احد اذ علم الناس كافة بكاءه يومئذ على عمه اسد الله واسد رسوله حتى قال ابن عبد البر في ترجمة حمزة من استيعابه

لما رأى النبي صلى الله عليه وآله حمزة قتيلاً بكى فلما رأى ما مثل به شهق اه

وذكر الواقدي (كما في اوائل الجزء الخامس عشر من شرح نهج البلاغه[1] للعلامه المعتزلي) انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي واذا نشجت ينشج[2] (قال) وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومنها يوم نعى زيداً وذا الجناحين وابن رواحة فيما اخرجه البخاري في الصفحة الثالثة من ابواب الجنائز من صحيحه وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على جعفر وزيد وقال اخواي ومؤنساي ومحدثاي

ومنها يوم مات ولده ابراهيم اذ بكى عليه فقال له عبد الرحمن بن عوف (كما في صفحة ١٤٨ من الجزء الاول من صحيح البخاري) وانت يارسول الله قال يابن عوف انها رحمة[3] ثم اتبعها (يعني عبرته) باخرى فقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول[4] الا مايرضي ربّنا وانا بفراقك يابراهيم لمحزونون اه

ومنها يوم ماتت احدى بناته صلى الله عليه وآله اذ جلس على قبرها (كما في صفحة ١٤٦ من الجزء الاول من صحيح البخاري) وعيناه تدمعان

ومنها يوم مات صبيّ لأحدى بناته اذ فاضت عيناه يومئذ (كما في

(١) في اواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث طبع مصر

(٢) قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبي صلى الله عليه وآله وتقريره فهو حجة من جهتين على ان بكاء سيدة النساء كاف كما لايخفى

(٣) لايخفى ما في تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء في مثل المقام

(٤) اراد بهذا انّ الملامة والأثم في المقام انما يكونان بالقول الذي يسخط الرب عزوعلا كالأعتراض عليه والسخط لقضائه لابمجرد دمع العين وحزن القلب (منه)

الصحيحين [١] وغيرهما) فقال له سعد ماهذا يارسول الله قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء [٢] اه

ومنها ماأخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر قال اشتكى سعد فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعة من اصحابه فوجده في غشية فبكى (قال) فلما رأى القوم بكاءه بكوا الحديث [٣] والاخبار في ذلك لاتحصى ولا تستقصى

واماقوله وتقريره فستفيضان وموارد هما كثيرة فمنها ماذكره ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه قال لما جاء النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم نعيُ جعفر [٤] اتى امرأته اسماء بنت عميس فعزاها (قال) ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله على مثل جعفر فلتبك [٥] البواكي اه

ومنها ماذكره ابن جرير وابن الأثير وصاحب العقد الفريد وجميع اهل السير واخرجه الأمام احمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من

---

(١) راجع صفحة ١٤٦ من الجزء الأول من صحيح البخاري وباب البكاء على الميت من صحيح مسلم (٢) دلالة قوله وانما يرحم الله من عباده الرحماء على استحباب البكاء في غاية الوضوح كما لايخفى

(٣) فراجعه في باب البكاء عند المريض من صحيح البخاري وفي باب البكاء على الميت من صحيح مسلم ولا يخفى اشتماله على كلٍّ من فعل النبي (ص) وتقريره فهو حجة من جهتين

(٤) هذا الحديث مشتمل على تقريره صلى الله عليه وآله وسلم على البكاء وامره به على ان مجرد صدوره من سيدة النساء عليها السلام حجة كما لايخفى

(٥) هذا امر منه (صلى الله عليه وآله) بالبكاء ندبا على امثال جعفر من رجال الامة وحسبك به حجة على الاستحباب

الجزء الثاني من مسنده قال رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من احد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من ازواجهنّ فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن حمزة لابواكي له (قال) ثم نام فاستنبه وهنّ يبكين (قال) فهن اليوم اذا بكين يندبن بحمزة اه

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلاً عن الواقدي قال لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله (لكن حمزة لابواكي له) الى اليوم الأ بدأن بالبكاء على حمزة اه وحسبك تلك السيرة في رجحان البكاء على من هو كحمزة وان بعد العهد بموته

ولا تنس مافي قوله صلى الله عليه وآله (لكن حمزة لابواكي له) من البعث على البكاء والملامة لهنّ على تركه وحسبك به وبقوله على مثل جعفر فلتبك البواكي دليلا على الاستحباب

واخرج الأمام احمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكاء النساء عليها قال فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي صلى الله عليه وآله دعهن يبكين ثم قال مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة وقعد على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي قال فجعل النبي صلى الله عليه وآله يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها اه

واخرج احمد ايضا من حديث ابي هريرة في صفحة ٣٣٣ من الجزء الثاني من مسنده حديثا جاء فيه انه مرَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة معها بواكي فنهرهنّ عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله دعهن فإن النفس مصابة والعين دامعة الى غير ذلك مما لايسعنا

استيفاوه وقد بكى يعقوب اذغيب الله ولده (وقال ياأسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) حتى قيل (كما في تفسير هذه الآية من الكشاف) ماجفت عيناه من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاماً وماعلى وجه الأرض اكرم على الله منه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كما في تفسير هذه الآية من الكشاف ايضا) انه سأل جبرائيل عليه السلام مابلغ وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد [1] وما ساء ظنه بالله قط اه

قلت اي عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الانبياء (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) واما ماجاء في الصحيحين من ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه وفي رواية ببعض بكاء اهله عليه وفي رواية ببكاء الحي وفي رواية يعذب في قبره بما نيح عليه وفي رواية من يُبك عليه يعذَّب فانه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل قال الفاضل النووي [2] هذه الروايات كلها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبدالله (قال) وانكرت عائشة عليهما ونسبتهما الى النسيان والاشتباه واحتجت بقوله تعالى (ولاتزر وازرة وزر اخرى) الخ

قلت وانكر هذه الروايات ايضا عبد الله بن عباس واحتج على خطأ راويها والتفصيل في الصحيحين وشروحهما وما زالت عائشة وعمر في هذه المسئله على طرفي نقيض حتى اخرج الطبري [3] في

(١) هذا كالصريح في استحباب البكاء اذليس المستحب الا مايترتب الثواب على فعله كما هو واضح (٢) عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه من شرح صحيح مسلم

(٣) عند ذكر وفاة ابي بكر في الجزء الرابع من تاريخه

في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالاسناد الى سعيد بن المسيب قال لما توفي ابو بكر اقامت عليه عائشة النُّوَّح فاقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على ابي بكر فابين ان ينتهين فقال عمر لهشام بن الوليد ادخل فاخرج الي ابنة ابي قحافه فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر اني احرّج عليك بيتي فقال عمر لهشام ادخل فقد اذنت لك فدخل هشام فاخرج ام فروه اخت ابي بكر الى عمر فعلاها بالدرة فضربها ضربات فتفرّق النُّوَّح حين سمعوا ذلك اه

قلت كأنه لم يعلم تقرير النبي نساء الانصار على البكاء على موتاهن ولم يبلغه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لكن حمزة لابواكي له وقوله على مثل جعفر فلتبك البواكي وقوله وانما يرحم الله من عباده الرحماء

ولعله نسي نهي النبي صلى الله عليه وآله اياه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسي نهيه اياه عن انتهارهن في مقام آخر مرّ عليك آنفا ثم اذا كان البكاء على الميت حراما فلماذا اباح لنساء بني مخزوم ان يبكين على خالد بن الوليد [1] حتى ذكر محمد بن سلام (كما في ترجمة خالد من الاستيعاب) انه لم تبقَ امرأة من بني المغيرة الا وضعت لمتها (اي حلقت رأسها) على قبر خالد وهذا حرام بلا ارتياب والله اعلم

﴿المطلب الثاني﴾ في رثاء الميت بالقريض ويظهر من القسطلاني في شرح

(١) وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعا يده على راسه كما نص عليه ابن عبد البر في ترجمة النعمان من استيعابه وفي اوائل الجزء الثاني من العقد الفريد قال ولما نعي النعمان بن مقرن الى عمر بن الخطاب وضع يده على راسه وصاح ياأسفا على النعمان وبكاؤه على اخيه زيد معلوم بالتواتر

البخاري [١] ان الجماعة يفصلون القول فيه فيحرمون ما اشتمل منه على مدح الميت وذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللوعة ويبيحون ما عدا ذلك والحق اباحته مطلقا اذ لادليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الاصل والنواهي التي يزعمونها انما يستفاد منها الكراهة في موارد مخصوصة على انها غير صحيحة بلا ارتياب

وقد رثى آدم عليه السلام ولده هابيل [٢] واستمرت على ذلك ذريته الى يومنا هذا بلا نكير

واقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه عليه مع اكثارهم من تهييج الحزن به وتفننهم بمدائح الموتى فيه وتلك مراثيهم منتشرة في كتب الاخبار فراجع من الاستيعاب ان اردت بعضها احوال سيد الشهداء حمزة وعثمان بن مظعون وسعد بن معاذ وشماس بن عثمان بن الشريد والوليد بن الوليد بن المغيرة وابي خراش الهذلي واياس ابن البكير الليثي وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم ولاحظ من الاصابة احوال ذي الجناحين جعفر بن ابي طالب وابي زيد الطائي وابي سنان بن حريث المخزومي والاشهب بن رميلة الدارمي وزينب بنت العوام وعبد الله بن عبد المدان الحارثي وجماعة آخرين لاتحضرني اسماؤهم ودونك كتاب الدرة في التعازي والمراثي وهو في اول الجزء الثاني من العقد الفريد تجد فيه من مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئا كثيرا وليس شيء مما اشرنا اليه إلا وقد اشتمل على مايهيج الحزن ويجدد اللوعة بمدح الميت وذكر محاسنه

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنافست فضلاء الصحابة

(١) راجع باب رثى النبي سعد بن خولى في صفحة ٢٩٨ من الجزء الثالث من ارشاد الساري للقسطلاني (٢) فيما روي وقد ضُعِّف

في رثائه فرثته سيدة نساء العالمين عليها السلام بابيات تهيج الاحزان ذكر القسطلاني [١] في ارشاد الساري بيتين منها وهما قولها عليها السلام

ماذا على من شمّ تربة احمد ان لايشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لوأنها صبّت على الايام صرن لياليا

ورثته ايضا بابيات تثير لواعج الاشجان ذكر ابن عبد ربه المالكي بيتين منها في اوائل الجزء الثاني من العقد الفريد وهما

انا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نعيت وحالت دونك الكثب

ورثته عمته صفية بقصيدة يائية ذكر ابن عبد البر في احوال النبي (ص) من استيعابه جملة منها ورثاه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بقصيدة لامية ذكر بعضها صاحبا الاستيعاب والاصابه في ترجمة ابي سفيان المذكور ورثاه ابو ذويب الهذلي (كما يعلم من ترجمته في الاستيعاب والاصابه) بقصيدة حائية ورثاه ابوا الهيثم بن التيهان بقصيدة دالية اشار اليها ابن حجر في ترجمة ابي الهيثم من اصابته ورثته ام رعله القشيريه بقصيدة رائية اشار اليها العسقلاني في ترجمة ام رعله من اصابته ورثاه عامر بن الطفيل بن الحرث الازدي بقصيدة جيمية اشار اليها ابن حجر في ترجمة عامر من الاصابه ومن استوعب الاستيعاب وتصفح الاصابه واسد الغابه ومارس كتب الاخبار يجد من مراثيهم المشتملة على تهييج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئا يتجاوز حد الاحصاء وقد اكثرت الخنساء وهي صحابية من رثاء اخويها صخر ومعاويه وهما كافران وابدعت في مدائح صخر واهاجت عليه لواعج الحزن فما انكر عليها منكر واكثر ايضا متمم بن نويره من

(١) في صفحه ٣١٨ من جزئه الثالث في باب رثى النبي سعد بن خولى

تهييج الحزن على اخيه مالك في مراثيه السائره حتى وقف مرة في المسجد وهو غاص بالصحابة امام ابي بكر بعد صلاة الصبح واتكأ على سية قوسه فانشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت يا ابن الازور

ثم اوما الى ابي بكر (كما في ترجمة وثيمه بن موسى بن الفرات من وفيات ابن خلكان) فقال مخاطبا له

ادعوته بالله ثم غدرته او هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر والله مادعوته ولا غدرته ثم قال

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنوّر
لايمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المأزر

وبكى حتى انحط عن سية قوسه (قالوا) فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فما انكر عليه في بكائه ولا في رثائه منكر بل قال له عمر (كما في ترجمة وثيمه من الوفيات) لوددت انك رثيت زيدا اخي بمثل مارثيت به مالكا اخاك فرثى متمم بعدها زيد بن الخطاب فما اجاد فقال له عمر لما لم ترث زيداً كما رثيت مالكا فقال انه والله ليحركني لمالك مالا يحركني لزيد واستحسن الصحابة ومن تأخر عنهم مراثيه في مالك وكانوا يتمثلون بها كما اتفق ذلك من عائشة اذ وقفت على قبر اخيها عبد الرحمن (كما في ترجمته من الاستيعاب) فبكت عليه وتمثلت

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معا

وما زال الرثاء فاشيا بين المسلمين وغيرهم في كل عصرٍ ومصر لايتناكرونه مطلقاً

(المطلب الثالث) في تلاوة الاحاديث المشتملة على مناقب الميت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف وفعلته عائشة اذ وقفت على قبر ابيها باكية فقالت كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وكنت للآخرة معزا باقبالك عليها وكان اجلُّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رزؤك واعظم المصائب بعده فقدك وفعله محمد بن الحنفيه اذ وقف على قبر اخيه المجتبى عليه السلام فخنقته العبره (كما في اوائل الجزء الثاني من العقد الفريد) ثم نطق فقال يرحمك الله ابا محمد فلئن عزت حياتك فقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح ضمه بدنك ولنعم البدن بدن ضمه كفنك وكيف لاتكون كذلك وانت بقية ولد الانبياء وسليل الهدى وخامس اصحاب الكساء غذتك اكف الحق وربيت في حجر الاسلام فطبت حيا وطبت ميتا وان كانت انفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيار لك اه

(ثم بكى بكاء شديدا وبكى الحاضرون حتى علا نشيجهم) ووقف امير المؤمنين على قبر خباب بن الارت في ظهر الكوفه وهو اول من دفن هناك كما نص عليه ابن الاثير في آخر تتمة صفين فقال رحم الله خبابا لقد اسلم راغبا وجاهد طائعا وعاش مجاهدا وابتُلي في جسمه احوالا ولن يضيع الله اجر من احسن عملا اه

ولما توفي امير المؤمنين قام الخلف من بعده ابو محمد الحسن الزكي عليهما السلام خطيبا فقال (كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير وابن الاثير وغيرهما) لقد قتلتم الليلة رجلا والله ماسبقه احد كان قبله ولايدركه احد يكون بعده إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريه وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ماترك صفراء ولا بيضاء الخ

ووقف الامام زين العابدين على قبر جده امير المؤمنين عليهما السلام فقال اشهد انك جاهدت في الله حق جهاده وعملت بكتابه واتبعت سنن نبيه صلى الله عليه

وآله حتى دعاك الله الى جواره ، فقبضك اليه باختياره لك كريم ثوابه ، والزم اعداءك الحجة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه

وعن انس بن مالك (كما في العقد الفريد وغيره) قال لما فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكت فاطمة ونادت يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه من ربه ما ادناه يا ابتاه الى جبرائيل ننعاه يا ابتاه جنة الفردوس مأواه

ولو اردنا ان نستوفي ما كان من هذا القبيل لخرجنا عن الغرض المقصود وحاصله ان تأبين الموتى من اهل الآثار النافعه بنشر مناقبهم وذكر مصائبهم مما حكم بحسنه العقل والنقل واستمرت عليه سيرة السلف والخلف واوجبته قواعد المدنيه واقتضته اصول الترقي في المعارف اذ به تحفظ الآثار النافعه وبالتنافس فيه تعرج الخطباء الى اوج البلاغه والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ وعلم الرجال بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنه لاشتمالهما على جملة من مناقب الانبياء ومصائبهم ومن يرضى لنفسه هذا الحمق او يختار لها هذا العمى نعوذ بالله من سفه الجاهلين

(المطلب الرابع) في الجلوس حزنا على الموتى من اهل الحفائظ والايادي المشكوره وحسبك في رجحان ذلك ماتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحزن الشديد على عمه ابي طالب وزوجته الصديقة الكبرى ام المومنين عليها السلام وقد ماتا في عام واحد فسمي عام الحزن وهذا معلوم بالضرورة من اخبار الماضين

واخرج البخاري في باب من جلس عند المصيبه يعرف فيه الحزن من الجزء الاول من صحيحه بالاسناد الى عائشه قالت لما جاء النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قتلُ ابن حارثه وجعفر وابن رواحه جلس (اي في المسجد كما في رواية ابي داود) يعرف فيه الحزن واخرج البخاري في الباب المذكور

ايضا عن انس قال قَنَتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهرا حين قتل القراء فما رايته حزن حزنا قط اشد منه الحديث (١) والاخبار في ذلك اكثر من ان تحصى او تستقصى

والقول بانه انما يحسن ترتيب آثار الحزن اذا لم يتقادم العهد بالمصيبة مدفوع بان من الفجائع مالا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها فقرب العهد بها وبعده عنها سواء نعم يتم قول هولاء اللائمين اذا تلاشى الحزن بمرور الازمنه ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبد بترتيب آثاره وما احسن قول القائل في هذا المقام

خلي اميمةُ عن ملا ... مِك ماالمعزي كالثكول
ماالراقد الوسنان مث ... ل معذب القلب العليل
سهران من ألم وهـ ... ذا نائم الليل الطويل
ذوقي اميمة ماذو ... ق وبعده ما شئت قولي

على ان في ترتيب آثار الحزن بما اصاب رسول الله (ص) من تلك الفجائع وحلّ بساحته من هاتيك القوارع حكماً توجب التعبد بترتيب آثار الحزن بسببها على كل حال ، والادلة على ترتيب تلك الآثار في جميع الاعصار متوفرة وستسمع اليسير منها ان شاء الله تعالى

وقد علمت سيرة اهـل المدينة الطيبه واستمرارها على ندب حمزه وبكائه مع بعد العهد بمصيبته فلم ينكر عليهم في ذلك احد حتى بلغني انهم لايزالون الى الآن اذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة عليه وما ذاك الا مواساةً لرسول الله صلى الله عليه وآله بمصيبته في عمه واداءً لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه وهي

(١) واخرجه مسلم ايضا في باب التشديد في النياحة من صحيحه

قوله (لكن حمزة لابواكي له) وكان الاولى لهم ولسائر المسلمين مواساته في الحزن على اهل بيته والاقتداء به في البكاء عليهم وقد لام بعض اهل البيت عليهم السلام من لم يواسهم في ذلك فقال يالله لقلب لاينصدع لتذكار تلك الامور ، وياعجبا من غفلة اهل الدهور ، وما عذر اهل الاسلام والايمان ، في اضاعة اقسام الاحزان ، الم يعلموا ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم موتور وجيع ، وحبيبه مقهور صريع ، (قال) وقد اصبح لحمه (ص) مجردا على الرمال ، ودمه الشريف مسفوكا بسيوف اهل الضلال ، فياليت لفاطمة وابيها ، عينا تنظر الى بناتها وبنيها ، وهم مابين مسلوب وجريح ، ومسحوب وذبيح ، الى آخر كلامه

ومن وقف على كلام ائمة اهل البيت في هذا الشان ، لايتوقف في ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران ، لكنا منينا بقوم لاينصفون فانا لله وانا اليه راجعون

(المطلب الخامس) في الانفاق عن الميت في وجوه البر والاحسان ويكفي في استحبابه عموم مادل على استحباب مطلق المبرات والخيرات على ان فعل النبي صلى الله عليه وآله وقوله دالان على الاستحباب في خصوص المقام وحسبك من فعله ما اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (١) بطرق متعددة عن عائشة قالت ماغرت على احد من نساء النبي صلى الله عليه وآله ماغرت على خديجه وما رايتها ولكن كان النبي صلى الله عليه وآله يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها اعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجه فربما قلت له كأن لم يكن في الدنيا الا خديجه فيقول انها كانت وكانت وكان لي منها ولد قلت

(١) فراجع من صحيح البخاري باب تزويج النبي خديجه وفضلها ومن صحيح مسلم باب فضائل خديجة ام المؤمنين عليها السلام

وهذا يدل على استحباب صلة اصدقاء الميت واوليائه في الله عز وجل بالخصوص

ويكفيك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما اخرجه مسلم في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت اليه من كتاب الزكاة في الجزء الاول من صحيحه بطرق متعدده عن عائشة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله ان امي افتلتت نفسها ولم توص افلها اجر إن تصدقت عنها قال (ص) نعم ومثله ما اخرجه احمد من حديث عبدالله بن عباس في صفحة ٣٣٣ من الجزء الاول من مسنده من ان سعد بن عباده قال ان ابن بكر اخا بني ساعده توفيت امه وهو غائب عنها فقال يارسول الله ان امي توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت بشيء عنها قال نعم قال فاني اشهدك ان حائط المخرف صدقة عليها اه والأخبار في ذلك متضافرة ولا سيما من طريق العترة الطاهره (١)

فصل

كل من وقف على ماسلف من هذه المقدمه يعلم انه لاوجه للأنكار علينا في مآتمنا المختصة بسيد الشهداء عليه السلام ضرورة انها لاتشتمل الا على تلك المطالب الخمسه وقد عرفت اباحتها بالنسبة الى مطلق الموتى من كافة المؤمنين وما ادري كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواساة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واسست على الحزن لحزنه ايبكي بأبي هو وامي

(١) وربما كان المنكر علينا فيما نفعله من المبرات عن الحسين عليه السلام لايقنع باقوال النبي (ص) ولابافعاله وانما تقنعة اقوال سلفه وافعالهم وحينئذ نحتج عليه بما فعله الوليد ابن عقبه بن ابي معيط الأموي اذ مات لبيد بن ربيعه العامري الشاعر فبعث الوليد الى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه كما نص عليه ابن عبدالبر في ترجمة لبيد من الاستيعاب

قبل الفاجعة ونحن لانبكي بعدها ماهذا شأن المتأسي بنبيه والمقتص لاثره إن هذا الا خروج عن قواعد المتأسين بل عدول عن سنن النبيين

الم يرو الامام احمد بن حنبل من حديث علي عليه السلام في صفحه ٨٥ من الجزء الاول من مسنده بالاسناد الى عبد الله بن نجا عن ابيه انه سار مع علي عليه السلام فلما حاذى نينوى وهو منطلق الى صفين نادى صبرا ابا عبد الله صبرا ابا عبد الله بشط الفرات قال قلت وماذاك قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان قلت يانبي الله ماشأن عينيك تفيضان قال قام من عندي جبرائيل قبل فحدثني ان (ولدي) الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك الى ان اشمك من تربته قال قلت نعم فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فاعطانيها فلم املك عينيّ ان فاضتا اه

واخرج ابن سعد كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر [1] عن الشعبي قال مر علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره الى صفين وحاذى نينوى فوقف وسأل عن اسم الارض فقيل كربلاء فبكى حتى بلّ الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي فقلت مايبكيك (بأبي انت وامي) قال كان عندي جبرائيل آنفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء الحديث

واخرج الملا (كما في الصواعق ايضا) ان علياً مر بموضع قبر الحسين (عليهما السلام) فقال هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم

(١) كل مانتقله في هذا المقام عن الصواعق من هذا الحديث وغيره موجود في اثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الاحاديث التي اوردها في ذلك الفصل فراجع

فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والارض اه [1] ومن حديث ام سلمة (كما نص عليه ابن عبد ربه المالكي [2] حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد) قالت كان عندي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعي الحسين فدنا من النبي (ص) فاخذته فبكى فتركته فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فقال له جبرائيل اتحبه يامحمد قال نعم قال أما ان امتك ستقتله وان شئت اريتك الارض التي يقتل بها فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اه [3] وروى الماوردي الشافعي في باب انذار النبي (ص) بما سيحدث بعده [4] من كتابه (اعلام النبوه) عن عروة عن عائشة قالت دخل الحسين بن علي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى اليه فقال جبرائيل ان امتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء وقال في هذه يقتل ابنك اسمها الطّف قال فلما ذهب جبرائيل خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اصحابه والتربة بيده وفيهم ابو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وابو ذر وهو يبكي فقالوا مايبكيك يارسول الله فقال اخبرني جبرائيل انّ ابني الحسين يقتل بعدي بارض الطف وجاءني بهذه التربة فاخبرني انّ فيها مضجعه اه

واخرج الترمذي (كما في الصواعق وغيرها) ان ام سلمة رأت النبي

(١) وهذا الحديث رواه اصحابنا بكيفية مشجية عن الباقر عليه الصلاة والسلام ورووه عن هرثمة وعن ابن عباس وان اردت الوقوف عليه فدونك صفحة ١٠٨ ومابعدها الى صفحة ١١٢ من الخصائص الحسينيه

(٢) في سطر ١٥ من صفحه ٢٤٣ من جزئه الثاني المطبوع سنة ١٣٠٥ وفي هامشه زهر الآداب (٣) واخرج البغوي في معجمه وابو حاتم في صحيحه من حديث انس كما في الصواعق نحوه (٤) وهو الباب الثاني عشر في صفحة ٢٣ من ذلك الكتاب

صلى الله عليه وآله وسلم (فيما يراه النائم) باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفاً قال في الصواعق وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم [1] (قال) فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم اه

واما صحاحنا فانها متواترة في بكائه صلى الله عليه وآله وسلم على الحسين عليه السلام في مقامات عديدة يوم ولادته وقبلها، ويوم السابع من مولده وبعده، في بيت فاطمة وفي حجرته، وعلى منبره وفي بعض اسفاره

تارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، واحياناً هو وعلي وفاطمة، وربما بكاه هو واصحابه، وكان يقبله في نحره ويبكي، ويقبله في شفتيه ويبكي، واذا رآه فرحاً يبكي، واذا رآه حزيناً يبكي، بل صح انه قد بكاه آدم ونوح، وابراهيم واسماعيل، وموسى وعيسى، وزكريا ويحيى، والخضر وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كله موكول الى مظانه من كتب الحديث [2]

واما ائمة العترة الطاهرة الذين هم كسفينة نوح وباب حطة وامان اهل الأرض واحد الثقلين اللذين لايضل من تمسك بهما ولا يهتدي الى الله من صد عنهما فقد استمرت سيرتهم على الندب والعويل، وامروا اولياءهم باقامة مآتم الحزن جيلا بعد جيل، فعن الصادق عليه السلام (فيما رواه ابن قولويه في الكامل وابن شهراشوب في المناقب وغيرهما) ان علي بن الحسين

(١) واخرجه من حديث ابن عباس احمد بن حنبل في صفحه ٢٨٣ من الجزء الاول من مسنده وابن عبد البر والعسقلاني في ترجمة الحسين (ع) من الاستيعاب والاصابه وخلق كثير (٢) فراجع صفحة ١٠٥ وما بعدها الى صفحة ٢٣٢ من الخصائص الحسينيه وان شئت فراجع جلاء العيون او البحار او غيرهما

عليهما السلام بكى على ابيه مدة حياته وما وضع بين يديه طعام الا بكى ولا اتي بشراب الا بكى حتى قال له بعض مواليه جعلت فداك يا ابن رسول الله اني اخاف ان تكون من الهالكين قال عليه السلام (انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالا تعلمون) وروى ابن قولويه وابن شهراشوب ايضا وغيرهما انه لما كثر بكاؤه قال له مولاه اما آن لحزنك ان ينقضي فقال ويحك ان يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولداً فغيب الله واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغم وابنه حي في الدنيا وانا نظرت الى ابي واخي وعمومتي وسبعة عشر من اهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني

وعن الباقر عليه السلام [1] قال كان ابي (علي بن الحسين صلوات الله عليه) يقول أيما مومن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله تعالى في الجنة غرفا يسكنها احقابا وايما مومن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بوأه الله في الجنة مبوأ صدق وايما مومن مسه اذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده صرف الله عن وجهه الاذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار اه

وقال الرضا [2] (وهو الثامن من ائمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم) ان المحرم شهر كان اهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه دماؤنا وهتكت فيه حرمتنا وسبيت فيه ذرارينا ونساؤنا واضرمت فيه النار في مضاربنا وانتهب مافيها من ثقلنا [3] ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة في امرنا ان يوم الحسين اقرح جفوننا واسبل دموعنا

(١) فيما اخرجه جماعة منهم ابن قولويه في كامله (٢) فيما اخرجه الصدوق في اماليه وغير واحد من اصحابنا (٣) الثَّقَل وزان سبب متاع المسافر وكل شيء نفيس مصون

واذلّ عزيزنا فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام ثم قال عليه السلام كان ابي اذا دخل شهر المحرم لايرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه فاذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه اه

وقال عليه السلام [1] من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذكر مصابنا فبكى وابكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون ومن جلس مجلسا يحيي فيه امرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب اه

وعن الريان بن شبيب (فيما اخرجه الشيخ الصدوق في العيون) قال دخلت على الرضا عليه السلام في اوّل يوم من المحرم فقال لي يا ابن شبيب انّ المحرّم هو الشهر الذي كان اهل الجاهلية يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم اذ قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله يا ابن شبيب ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين عليه السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من اهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الارض من شبيه ولقد بكت السموات السبع لقتله الى ان قال يا ابن شبيب ان سرك ان تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا الحديث وقال عليه السلام (فيما اخرجه الصدوق في اماليه) من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرّت بنا في الجنان عينه الحديث وبكى صلوات الله عليه اذ انشده دعبل

(١) فيما اخرجه الصدوق في اماليه

ابن علي الخزاعي قصيدته التائية السائرة حتى اغمي عليه في اثنائها مرتين كما نص عليه الفاضل العباسي في ترجمة دعبل من معاهد التنصيص وغيره من اهل الأخبار

وفي البحار وغيره انه عليه السلام امر قبل انشادها بستر فضرب دون عقائله فجلس خلفه يسمعن الرثاء ويبكين على جدّهن سيد الشهداء وأنه قال يومئذٍ يادعبل من بكى او ابكى على مصابنا ولو واحداً كان اجره على الله يادعبل من ذرفت عيناه على مصابنا حشره الله معنا اه

وحدث محمد بن سهل (كما في ترجمة الكميت من معاهد التنصيص) قال دخلت مع الكميت على ابي عبدالله جعفر بن محمد (الصادق عليه السلام) في ايام التشريق فقال له جعلت فداك الا انشدك قال إنّها ايامٌ عظامٌ قال انها فيكم قال هات وبعث ابو عبد الله الى بعض اهله فقرّب فانشده (في رثاء جده الحسين عليه السلام) فكثر البكاء حتى اتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً اسدى له الغيّ اوّلُ

قال فرفع ابو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال اللهم اغفر للكميت ماقدم وما اخر وما اسر وما اعلن واعطه حتى يرضى [1]

(١) بخ بخ هنيئا لمن نال من ائمة الهدى بعض ذلك وانت تعلم انه عليه السلام لم يبتهل بالدعاء للكميت هذا الابتهال الا لما دل عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال وقد اكثر الشعراء من نظم هذا المعنى فنظمه المهيار في قصيدته اللامية وقبل ذلك نظمه الشريف الرضي فقال

بنى لهم الماضون آساس هذه فعلّوا على آساس تلك القواعد

الى آخر ما قال وكأنّ سيدة نساء عصرها (زينب) عليها السلام اشارت الى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين بل اشار اليه معاويه اذ كتب اليه محمد بن ابي بكر يلومه في تمرده على امير المومنين عليه

وفي كامل الزيارات بالأسناد الى عبدالله بن غالب قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام فلما انتهيت الى قولي فيها (لبلية) البيت صاحت باكيةٌ من وراء الستر ياأبتاه

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال وابن قولويه بأسانيد معتبرة عن ابي عمارة قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام ياابا عمارة انشدني في الحسين فانشدته فبكى ثم انشدته فبكى قال فوالله مازلت انشده وهو يبكي حتى سمعت البكاء من الدار فقال ياابا عمارة من انشد في الحسين ابن علي عليهما السلام فابكى خمسين فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى ثلاثين فله الجنه ومن انشد في الحسين فابكى عشرين فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى عشرة فله الجنة ومن انشد في الحسين فبكى فله الجنة ومن انشد في الحسين فتباكى فله الجنة

وروى الصدوق في ثواب الاعمال بالأسناد الى هارون المكفوف قال دخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لي ياابا هارون انشدني في الحسين عليه السلام فانشدته فقال لي انشدني كما تنشدون يعني بالرقة قال فانشدته

امرر على جدث الحسي ن فقل لاعظمه الزكيه

السلام ويذكر له فضله وسابقته فكتب له معاويه في الجواب ما يتضمن الاشارة الى المعنى الذي نظمه الكميت فراجع ذلك الجواب في كتاب صفين لنصر بن مزاحم او شرح النهج الحديدي او مروج الذهب للمسعودي

وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاويه اذ كتب اليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين فاجابه اما بعد فانا اقبلنا على فرش ممهده ونمارق منضده الى آخر الكتاب وقد نقله البلاذري وغيره من اهل السير والاخبار وفي كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير فحقيق بالباحثين ان يقفوا عليه

قال فبكى ثم قال زدني فانشدته القصيدة الاخرى قال فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر فلما فرغت قال ياابا هارون من انشد في الحسين فبكى وابكى عشرة كتبت لهم الجنة الى ان قال ومن ذُكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله عزوجل ولم يرض له بدون الجنه

وروى الكشي بسندٍ معتبر عن زيد الشحام قال كنا عند ابي عبدالله عليه السلام فدخل عليه جعفر بن عثمان فقربه وادناه ثم قال ياجعفر قال لبيك جعلني الله فداك قال بلغني انك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد فقال له نعم جعلني الله فداك قال قل فانشدته فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته ثم قال ياجعفر والله لقد شهدت الملائكة المقربون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا واكثر الى ان قال مامن احدٍ قال في الحسين شعراً فبكى وابكى الا اوجب الله له الجنة وغفر له

وروى ابن قولويه في الكامل بسندٍ معتبر حديثاً عن الصادق عليه السلام جاء فيه وكان جدّي (علي بن الحسين عليهما السلام) اذا ذكره (يعني الحسين عليه السلام) بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه وانّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء وما من باكٍ يبكيه الاوقد وصل فاطمة واسعدها ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وادى حقنا الحديث وفي قرب الاسناد عن بكر بن محمد الازدي قال قال ابو عبد الله (الصادق) عليه السلام لفضيل بن يسار اتجلسون وتحدّثون قال نعم جعلت فداك قال عليه السلام ان تلك المجالس احبّها فأحيوا امرنا فرحم الله من احيى امرنا يافضيل من ذكرنا او ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه

وفي خصال الصدوق عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى اطلع الى الارض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون اموالهم وانفسهم فينا اولئك منّا والينا

وفي كامل الزيارات بالأسناد الى ابي عمارة المنشد قال ماذُكر الحسين عليه السلام عند ابي عبد الله (الصادق) عليهِ السلام في يوم قط فرؤي متبسما في ذلك اليوم الى الليل (قال) وكان ابو عبد الله عليه السلام يقول الحسين عبرة كل مؤمن وفيه بالأسناد الى الصادق عليه السلام قال قال الحسين عليه السلام انا قتيل العبره لايذكرني مؤمن الاّ استعبر

الى غير ذلك من صحاح الاخبار المتواترة عن ائمة الأبرار وناهيك بها حجةً على رجحان هذه المآتم واستحبابها شرعا فان اقوال ائمة الهدى من اهل البيت عليهم السلام وافعالهم وتقريرهم حجة بالغة لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل كما هو مقرر في مظانه من كتب المتكلمين من اصحابنا والتفصيل في كتابنا (سبيل المؤمنين)

على انّ الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لايتوقف (عند الخصم) على عصمتهم بل يكفينا فيه ما اتفقت عليه الكلمة من امامتهم في الفتوى وانهم في انفسهم لايقصرون عن الفقهاء الاربعة والثوري والاوزاعي واضرابهم علماً ولا عملاً

وانت تعلم ان هذه المآتم لو ثبتت عن ابي حنيفة او صاحبيه ابي يوسف والشيباني مثلا لاستبق الخصم اليها وعكف ايام حياته عليها فلما ينكرها علينا ويندد بها بعد ثبوتها عن ائمة اهل البيت يامنصفون

اتراه يرى في ائمة الثقلين امراً يقتضي الاعراض عنهم او يجد فيهم شيئا يستوجب الأنكار على الآخذين بمذهبهم او انّ هناك ادلةً خاصة

تقصر الأمامة في الفتوى على ائمة خصومنا ولا تبيح الرجوع الى غيرهم كلاّ انّ واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس

هذا حديث الثقلين المجمع على صحته واستفاضته قد أنزل العترة منزلة الكتاب وجعلها قدوة لأولي الالباب فراجعه في باب فضائل عليٍّ من صحيح مسلم او في الجمع بين الصحيحين او في الجمع بين الصحاح الستة او في حديث ابي سعيد الخدري من مسند احمد بن حنبل او خصائص علي للأمام النسائي او في تفسيري الثعلبي والبيهقي او في حلية الحافظ الاصفهاني او في كتب الحاكم والطبراني وغيرها من كتب الحديث وانا اورده لك بلفظ الترمذي [1] بحذف الأسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا الثقلين احدهما اعظم من الآخر كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما زاد الطبراني فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم

قلت لايخفى ان تعليق عدم الضلال على التمسك بهما يقتضي بحكم

(١) قال ابن حجر بعد نقله عن الترمذي في اثناء تفسيره للآية الثانية من الآيات التي اوردها في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه ماهذا لفظه : ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا (قال) ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه وفي بعض تلك الطرق انه قال ذلك في حجة الوداع بعرفة وفي اخرى انه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفي اخرى انه قال ذلك في غدير خم وفي اخرى انه قاله لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف (قال) ولا تنافي اذ لامانع من انه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة اه

المفهوم ثبوت الضلال لمن تخلى عن احدهما ونأهيك به في وجوب اتباع العترة والانطقاع في الدين اليهاوالى القرآن العزيز

على ان اقترانهم بالكتاب (وهومعصوم)وجعلهم في وجوب التمسك بهم مثله دليل قاطع على حجية اقوالهم وافعالهم وانّ الرجوع في الدين الى خلافهم ليس الا كترك القرآن والرجوع الى كتاب يخالف احكامه ولا تنس دلالة قوله (ص) ولن يفترقا على عدم خلوّ الزمان ممن يُفرغ منهم عن القرآن والقرآن يُفرغ عنه[1] ثم انّ قوله فلا تقدّموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم نص صريح فيما قلناه كما لايخفى وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة والمنع من مخالفتهانستلفت الباحثين الى ماأخرجناه من ذلك في مبحث العصمة من سبيل المؤمنين وحسبك منه ماأخرجه الحاكم بسندٍ صحّحه على شرط البخاري ومسلم[2] عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من جملة حديث واهل بيتي امان لأمتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب (في بعض احكام الدين) اختلفوا (في فتاويهم)فصاروا حزب ابليس اه

(١) ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الا وان ائمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا من توفدون اخرجه الملا كما في تفسير الآية الرابعة من الآيات التي اوردها ابن حجر في الفصل الاول من الباب الحادي عشر من صواعقه وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة بل هو من ضروريات مذهبهم عليهم السلام

(٢) كما في تفسير الآية السابعة من الآيات التي اوردها ابن حجر في الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه ونقله حاكما بصحته ايضا في باب الامان ببقائهم من اواخر الصواعق

اليس هذا نصاً في وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وهل في لغة العرب او غيرها عبارة ابلغ منه في انذار مخالفيهم

واخرج احمد بن حنبل وغيره[1] بالاسناد الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال النجوم امان لاهل السماء فاذا ذهبت ذهبوا واهل بيتي امان لاهل الأرض فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الأرض وفي رواية فاذا هلك اهل بيتي جاء اهل الارض من الآيات ماكانوا يوعدون وفي هذا المعنى صحاح متضافره من طريق العترة الطاهرة ومتى كانوا اماناً لأهل الارض فكيف يُستبدَل بهم وأنى يُعدل عنهم وجاء من طرق عديدة يقوي بعضُها بعضا (كذا قال ابن حجر[2]) انه صلى الله عليه وآله قال انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا (قال ابن حجر) وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق (قال) وفي رواية هلك وانما مثَل اهل بيتي فيكم مَثَل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له (قال) وفي رواية غفر له الذنوب اه

ولا يخفى ان المراد من تمثيلهم بسفينة نوح انما هو الزام الامة باتباع طريقتهم والتمسك بالعروة الوثقى من ولايتهم وليس المراد من النجاة بذلك الارضوان الله عزوجل والجنة كما ان المراد بغرق المتخلفين عنهم او هلاكهم انما هو سخط الله سبحانه والنار والمراد من تمثيلهم بباب حطة انما هو بعث الامة على التواضع لله عزوجل بالاقتداء بهم والاستسلام لاوامرهم ونواهيهم وهذا كله ظاهر كماترى قال ابن حجر بعدايرادهذه

(١) كما نص عليه ابن حجر في باب الامان ببقائهم من صواعقه

(٢) في تفسير الآية ٧ من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه وفي باب الامان ببقائهم من اواخر الصواعق ايضا

الاحاديث في تفسير الآية السابعة من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب ١١ من الصواعق ماهذا لفظه

ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر ان من احبهم وعظمهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم واخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان الى ان قال وبباب حطة (يعني ووجه تشبيههم بباب حطة) ان الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب اريحاء او بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة وجعل لهذه الامة مودة اهل البيت سبباً لها الى آخر كلامه

ولو اردنا استيفاء ماجاء من صحاح السنة في وجوب اتباع ائمة اهل البيت والانقطاع في الدين اليهم عن العالمين لطال المقام وخرجنا عن موضوع هذه المقدمة وحاصله ان مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب اهل البيت والانفاق عنهم في وجوه البر وتلاوة رثائهم ومناقبهم والبكاء رحمة لهم سيرة قطعيه قد استمرت عليها ائمة الهدى من اهل البيت وامروا بها اولياءهم على مر الليالي والأيام فورثناها منهم وثابرنا عليها عملا بما هو المأثور عنهم فكيف والحال هذه تنكرونها علينا وتقولون فيها ماتقولون والله يعلم انها ليست كما تظنون

دع بكاء الانبياء والأوصياء ودع عنك ماكان من ملائكة السماء وقل لي هل جهلت نوح الجن في طبقاتها ورثاء الطير في وكناتها وبكاء الوحش في فلواتها ورسيس حيتان البحر في غمراتها وهل نسيت الشمس وكسوفها والنجوم وخسوفها والارض وزلزالها وتلك الفجائع واهوالها ام هل ذهلت عن الاحجار ودمائها والاشجار وبكائها والآفاق وغبرتها والسماء وحمرتها

كتا بخا نه

وقارورة ام سلمة وحصياتها [١] وتلك الساعة وآياتها

الم يرو الملا عن ام سلمة (كما في الصواعق [٢] وغيرها) انها قالت سمعت نوح الجن على الحسين وروى ابن سعد (كما في الصواعق ايضا) انها بكت (حينئذ) حتى غشي عليها واخرج ابو نعيم الحافظ في الدلائل عنها (كما نقله السيوطي) [٣] قالت سمعت الجن تبكي على الحسين وتنوح عليه

واخرج ثعلب في اماليه (كما في تاريخ الخلفاء ايضا) عن ابي خباب الكلبي قال اتيت كربلاء فقلت لرجلٍ من اشراف العرب اخبرني بما بلغني انكم تسمعونه من نوح الجن فقال ماتلقى احدا الا اخبرك انه سمع ذلك قال فاخبرني بما سمعت انت قال سمعتهم يقولون

مسح الرسول جبينه ... فله بريق في الخدود
ابواه من عليا قريش ... وجده خير الجدود

(١) اشرنا بهذا الى مارواه الملا في سيرته وابن احمد في زيادة المسند كما في الصواعق عن ام سلمة قالت من حديث ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها (ولدي) فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت فوضعته في قارورة وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دماً ليوم عظيم وفي رواية اخرى (كما في الصواعق ايضا) ان جبرائيل جاء بحصيات فجعلهن النبي (ص) في قارورة قالت ام سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول

ايها القاتلون جهلا حسيناً ... ابشروا بالعذاب والتنكيل
قد لعنتم على لسان ابن داو ... د وموسى وصاحب الانجيل

قالت فبكيت وفتحت القاروره فاذا الحصيات قد جرت دماه

(٢) كل ماننقله هنا عن الصواعق موجود في اثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الاحاديث التي اوردها في الفصل الثالث من الباب ١١

(٣) في احوال يزيد من كتابه (تاريخ الخلفاء)

واخرج ابو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة عن نصرة الازديه قالت لما قتل الحسين بن علي امطرت السماء دماً فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دما قال ابن حجر بعد ايراده في الصواعق وكذا رُوي في احاديث غير هذه (قال) ومما ظهر يوم قتله من الآيات ايضا ان السماء اسودت اسوداداً عظيما حتى روئيت النجوم نهارا (قال) ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم عبيط واخرج ابو الشيخ (كما في الصواعق ايضا) ان السماء احمرت لقتله (عليه السلام) وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس ان القيامة قد قامت قال ولم يرفع حجر في الشام الا روئي تحته دم عبيط اه

واخرج عثمان بن ابي شيبه (كما في الصواعق وغيرها) ان الشمس مكثت بعد قتله عليه السلام سبعة ايام تُرى على الحيطان كأنها ملاحفُ معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا قال في الصواعق ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين ان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت الحمرة في السماء قال وقال ابو سعيد مارفع حجر من الدنيا الا وتحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دما بقي اثره في الثياب حتى تقطعت قال واخرج الثعلبي ان السماء بكت وبكاؤها حمرتها وقال غيره احمرت آفاق السماء ستة اشهر بعد قتله ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك وان ابن سيرين قال أُخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين (عليه السلام) قال وذكر ابن سعد ان هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله

الى آخر ماهو مذكور في كتب السنة مما يدلك على انقلاب الكون بمقتله عليه السلام وانه قد بكته السماء وصخور الارض دما

ولو فرضنا الخصم جاهلا بما في تلك الكتب مما سمعت بعضه فهل

يجهل ماقام به ابن نباته خطيباً على اعواده وتركه سنة لخطباء المسلمين في الجمعة الثانية من المحرم في كل سنه واليك مااشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه

قال بكت لموته الارض والسموات وامطرت دما واظلمت الافلاك من الكسوف واشتدَّ سواد السماء ودام ذلك ثلاثة ايام والكواكب في افلاكها تتهافت وعظمت الاهوال حتى ظن ان القيامة قدقامت (قال) كيف لاوهو ابن السيدة فاطمة الزهراء وسبط سيد الخلائق دنيا وآخرة وكان عليه الصلاة والسلام من حبه في الحسين يقبل شفتيه ويحمله كثيراً على كتفيه فكيف لو رآه ملقى على جنبيه شديد العطش والماء بين يديه واطفاله يصيحون بالبكاء عليه لصاح عليه الصلاة والسلام وخرّ مغشياً عليه (قال) فتأسفوا رحمكم الله على هذا السبط السعيد الشهيد وتسلوا بما اصابه عما سلف لكم من موت الاحرار والعبيد واتقوا الله حق تقواه قال وفي الحديث اذا حشر الناس في عرصات القيامة نادى منادٍ من وراء حجب العرش ياأهل الموقف غضوا ابصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين وتتعلق بساق العرش وتقول انت الجبار العدل اقض بيني وبين من قتل ابني فيقضي الله بينها وبينه ثم تقول اللهم شفّعني فيمن بكى على مصيبتي فيشفعها الله تعالى فيهم الى آخر كلامه

فهل بعد هذا كله تقول ان البكاء على مصائب اهل البيت بدعة وهب انك لاترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكي لبكاء الانبياء والاوصياء، فابكِ لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك اقسى من الحجر، ابك لبكاء عمر بن سعد او عمرو بن الحجاج والاخنس بن زيد ويزيد بن معاوية او خولى والسالب لحلي فاطمة بنت الحسين عليه السلام ابك لبكاء العسكر باجمعه فقد شهدت كتب السير ببكائهم، مع خبث امهاتهم وآبائهم، ايحسن منك

(وانت مسلم) ان يصاب رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الفجائع ، وتحل بساحته تلك القوارع ، ثم تتخذها ظهريا ، وتكون عندك نسياً منسيا ، ماهذا شأن اهل الوفاء ولا بهذا تكون المواساة لسيد الانبياء (ص)

ثم ان ذلك الانقلاب الهائل وتلك الاحوال المدهشة (من الخسوف والكسوف ورجفة الارض وظلمة الافق وتهافت النجوم وحمرة السماء وبكاء الصخر الاصم دما) لم تكن الا اظهاراً لغضب الله عزوجل وتنبيها على فظاعة الخطب وتسجيلا لتلك النازلة في صفحات الافق لئلا تنسى على مرّ الليالي والايام وفيها من بعث الناس على استشعار الحزن وادّثار الكآبة مالا يخفى على اولي الالباب

فصل

علم الباحثون من مدققي الفلاسفة ان في مآتمنا المختصة باهل البيت عليهم السلام اسراراً شريفة [1] تعود على الامة بصلاح آخرتها ودنياها انبهك اليها بذكر بعضها واوكل الباقي الى فطنتك

﴿فمنها﴾ انها جامعة اسلامية ورابطة امامية باسم النبي وآله (ص)

(١) نبهك الى بعضها حكيما الغربيين وفيلسوفا المستشرقين الدكتور (جوزف) الفرنساوي في كتابه (الاسلام والمسلمون) والمسيو (مار بين) الالماني في كتابه (السياسة الاسلامية) وقد ترجمت جريدة (حبل المتين) الفارسية في عدد ٨٢ من اعداد سنة ١٧ فصلين من ذينيك الكتابين النفيسين يحتويان على اسرار شهادة الحسين وفلسفة مآتمه عليه السلام فكان لهما دوي في العالم الاسلامي واخذا في الشرق دورا مهماً وترجما بالتركية والهندية وعرّبهما سيدنا الشريف العلامة الباحث السيد صدر الدين الموسوي نجل الامام الكبير حجة الاسلام وآية الله في الانام قدوتنا المولى السيد اسماعيل الصدر ابقاه الله فنشرت مجلة العلم احد الفصلين ومجلة العرفان نشرت الآخر واليك ماذكره الدكتور (جوزف) تحت عنوان الشيعة وترقياتها المحيرة للمعقول قال من جملة كلام له طويل : « لم تكن هذه الفرقة (يعني الشيعة) ظاهره في القرون

ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله عز وجل والتّمسك بثقلي رسول الله صلى الله عليه وآله وفيها من اجتماع القلوب على اداء اجر الرسالة بمودة القربى

الاولى الاسلامية كأختها ويمكن ان تنسب قلتهم الى سببين احدهما ان الرياسة والحكومة التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب كانت بيد الفرقة الاخرى والسبب الآخر هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم احد أئمتهم في اوائل القرن الثاني عليهم بالتقية فزادت في قوتهم لعدم تمكن العدو القوي الشكيمة من قتلهم والاغارة عليهم بعد ان لم يكونوا ظاهرين وصاروا يعقدون المجالس سراً ويبكون على مصائب الحسين واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل الا وارتقوا حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء وهؤلاء بين من اخفى مذهبه وتشيعه وبين من اظهره وبعد امير تيمور حيث رجعت السلطة في ايران الى الصفوية صارت ايران مركز فرقة الشيعة وبمقتضى تخمين بعض سواح فرنسا ان الشيعة فعلا سدس المسلمين اوسبعهم ونظرا الى هذا الترقي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل من دون جبر واكراه يمكن ان يقال انهم سيفوقون سائر فرق الاسلام بعد قرن او قرنين والسبب في ذلك هو اقامة عزاء الحسين الذي قد جعله كل واحد منهم داعيا الى مذهبه ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد او الاثنان من الشيعة الا ويقيمان فيه عزاء الحسين ويبذلان في هذا السبيل الاموال الكثيرة فقد رأيت في نزل (مارسل) شيعيا عربيا من اهالي البحرين يقيم ماتم الحسين وهو منفرد ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي ثم يقسم ما احضره من الطعام على الفقراء . هذه الطائفة تبذل الاموال في هذا السبيل على وجهين فبعضهم يبذلها من خالص امواله في كل سنة بقدر استطاعته وصرفيات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك وبعضهم يعين اوقافا لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة وهذا القسم اضعاف الاول ويمكن ان يقال ان جميع فرق الاسلام من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تاييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها وموقوفات هذه الفرقة ضعفا اوقاف سائر المسلمين او ثلاثة اضعافها كل واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داع الى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين بل ان الشيعة انفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتبة على عملهم وليس في نظرهم الا الثواب الاخروي ولكن حيث ان كل عمل في هذا العالم لا بد وان يكون له اثر طبيعي

وترادف العزائم على احياء امر اهل البيت ما ليس في غيرها
وحسبك في رجحانها مايتسنّى بها للحكيم من القاء المواعظ والنصائح

في العالم الاجتماعي قصده الفاعل اولم يقصده لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعية في هذا العالم. من المعلوم ان مذهبا دعاته خمسون اوستون مليونا لابد وان يرتقي ارتقاء به على وجه التدريج الى ما يليق بشأنهم حتى ان الرؤساء الروحانيين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزراءها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة وسعي الفقراء والضعفاء في محافظة اقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب اكثر من الاعيان والاكابر لانهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تركوا سائر اشغالهم المعاشية وتفرغوا لهذا العمل وهم يكابدون المشاق في تحري العبارات الرائقة والجمل الواضحة عند القاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب اهل البيت على المنابر في المجالس العمومية ولاجل هذه المشقات التي اختارتها هذه الجماعة فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين وحيث ان تكرار الامر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب وملالها وعدم التأثير تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الاسلامية الراجعة الى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر حتى آل الامر الى عوام الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء ان اصبحوا اعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كل فرقة من فرق المسلمين بمذهبها كما ان اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة اليها ايضا اكثر من سائر المسلمين ولو نظرنا اليوم في اقطار العالم نرى ان الافراد التي هي اولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة انما توجد بين الشيعة والدعوى التي قام بها الشيعة الى مذهبهم اوالى سائر الفرق الاسلامية غير محدودة بل ان آحاد وافراد هذه الطائفة دعاة وما دخلوا بين امة الاوسروا هذا الاثر في قلوبها وليس العدد الذي نراه اليوم في الهند من الشيعة الا هو اثر اقامة هذه المآتم

الشيعة لم تؤيد دينها بقوة ولا سيف حتى في زمن الصفوية بل انهم بلغوا هذه الدرجة من الترقي المحير للعقول بقوة الكلام والدعوة التي اثرها امضى من السيف ولقد بالغ اهتمام هذه الفرقة في اداء مراسم مذهبها مبالغا عظيما حتى جعلت ثلثي المسلمين من اتباع سيرتها بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب ومن المعلوم ان بعد مضي قرون ووصل هذه الاعمال بالارث الى ابناء اولئك الطوائف يذعنون بها ويصدقون هذا المذهب وبنا ان فرقة الشيعة تعتقد بان جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها الى اكابر مذهبهم

وايقاف المجتمعين على الشؤون الاسلامية والامور الامامية ولو اجمالاً
وبذلك يكون امل العاملي نفس امل اخوانه في العراق وفارس والبحرين

وهم يفزعون اليهم في قضاء الحوائج ويستمدون منهم عند الشدائد سرت هذه الروح ايضا الى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الاعمال والافعال ومن المعلوم ان بمجرد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخا

من هذه القرائن والاسباب يمكننا ان نقول لايمضي على هذه الفرقة زمان قليل الا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد وكانت هذه الفرقة قبل قرن او قرنين تلازم التقية فيما عدا ايران نظرا لقلتهم وعدم قدرتهم على اظهار شعائر مذهبهم ولكن من يوم استولت الدول الغربية على الممالك الشرقية ومنحت جميع المذاهب الحرية قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علنا في كل مكان واستفادوا من هذه الحرية فائدة تامة حتى انهم تركوا التقية. — لهذه الاسباب المذكورة كانت هذه الفرقة اعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر واكثر سعيا باكتساب المعاش وتحصيل المعارف لذلك ترى العمال في هذه الفرقة اكثر ما تراه في سائر فرق المسلمين لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب مضافا الى ان مثابرتهم على العمل مما توجب احتياج الغير اليهم كما ان اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الودادية مع غيرهم تلازم غالبا اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم فيسمعون اصول مذهبهم ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم وهذا هو عمل الدعاة والاثر الذي يترتب على هذه السيرة هو الاثر الذي يتطلبه جميع ساسة الغرب في رقي دين المسيح مع تلك المصارف الباهظة ومن جملة الامور السياسية التي اظهرها اكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبية منذ قرون واوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الحسين وقد قرر حكماء الهند التمثيل لاغراض ليس هذا موضع ذكرها وجعلوه من اجزاء عباداتهم فاخذته اروبا واخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرج وصارت تمثل الامور المهمة السياسية في دور التمثيل للخاصة والعامة وجلبت القلوب بسببه واصابت بسهم غرضين تفريج النفوس وجلب القلوب في الامور السياسية والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة واظهرته بصبغة دينية ويمكن القول بان الشيعة قد اخذت ذلك من الهنود وكيف كان فالاثر الذي ينبغي ان يعود من

والهند وغيرها من بلاد الاسلام

ولا تنس ما يتهيأ للمجتمعين فيها من الاطلاع على شؤونهم والبحث

التمثيل الى قلوب الخواص والعوام قد عاد ومن المعلوم ان تواتر اقامة المآتم وذكر المصائب الواردة على اكابر دينهم والمظالم التي وردت على الحسين مع تلك الاخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمد اذا انضمت الى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الاثر وتوجب رسوخ عقائد خواص هذه الفرقة وعوامها فوق ما يتصور وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقي مذهب الشيعة الى الآن ان ترك بعضهم دين الاسلام او دخل في سائر الفرق الاسلامية . — هذه الفرقة تقيم التمثيل على اقسام مختلفة فتارة في مجالس خصوصية وامكنة معينة وحيث ان الفرق الاخرى قلما تشترك معهم في المجالس اخترعوا تمثيلا خاصا وصاروا يدورون به في الازقة والطرقات وبين جميع الفرق فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الاثر الذي يحصل من التمثيل ولم يزل هذا العمل يزداد اليه توجه الانظار من الخاص والعام حتى قلد الشيعة فيه بعض الفرق الاسلامية والهنود واشتركوا معهم في ذلك وهو في الهند اكثر رواجاً من جميع الممالك الاسلامية كما ان سائر فرق الاسلام هناك اكثر اشتراكا مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد ويغلب على الظن ان اصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصفوية الذين هم اول من نال السلطنة بقوة المذهب واجاز العلماء والرؤساء الروحانيون هذه الاصول ومن جملة الامور التي اوجبت رقي هذه الفرقة وشهرتهم في كل مكان هو تعرفهم بمعنى ان هذه الطائفة قد جلبت اليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوة والشوكة والاعتبار بواسطة المجالس والمآتم والشبيه واللطم والدوران وحمل الرايات والالوية في عزاء الحسين . ان من المعلوم ان كل جمعية وجماعة تجلب اليها الانظار والخواطر بدرجة ما مثلا لو كان في بلد عشرة آلاف متفرقين وفي محل الف نفس مجتمعة كانت شوكة الالف المجتمعين وابهتهم في انظار الخاصة والعامة اكثر من العشرة آلاف المتفرقين مضافا الى انهم اذا اجتمع الف نفس انضم اليهم من غيرهم مثل عددهم اما للتفرج اولاجل صداقة ورفاقة اولاغراض أخر وبهذا الانضمام تزيد شوكة الالف وقوتهم في الانظار وتتضاعف . ومن الامور الطبيعية المؤيدة لفرقة الشيعة في تاثير قلوب سائر الفرق هو اظهار مظلومية اكابر دينهم وهذا التاثير من الامور

عن شؤون اخوانهم النائين عنهم وما يتيسّر لهم حينئذ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا او كالجسد

الفطرية لان كل احد بالطبع ياخذ بيد المظلوم ويجب نصرة الضعيف والمظلوم على القوي والطبائع البشرية اميل الى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلا من الظالم وان كان محقا ولاسيما اذا مرت عليه السنون والاعوام وهؤلاء مصنفو اوروبا الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين واصحابه وقتله مع انهم لايعتقدون بهم يذعنون بالمظلومية لهم ويعترفون بظلم وتعدي قاتليهم وعدم رحمتهم ولايذكرون اسماءهم الا مشمئزين وهذه الامور الطبيعية لايقف امامها شيء وهذا السر من المؤيدات الطبيعية لفرقة الشيعة اه

وقال المسيو ماربين حكيم الالمان وفيلسوف المستشرقين ما هذا نص تعريبه

ان عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال اوجب ان ينسبوا في كتبهم طريقة اقامة الشيعة لعزاء الحسين الى الجنون * ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الاسلام فانا لم نر في سائر الاقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسبات السياسية والثورات المذهبية بسبب اقامة عزاء الحسين وكل من امعن النظر في رقي شيعة علي الذين جعلوا اقامة عزاء الحسين شعارهم في مدة مائة سنة يذعن انهم فازوا باعظم الرقي فانه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين في الهند الا مايعد بالاصابع واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعية اذا قيسوا بغيرهم وكذلك هم في سائر نقاط الارض واذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهظة والقوة الهائلة والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة وان كان قُسُسُنا يحزنون القلوب بذكر مصائب المسيح ولكن لا بذلك الشكل والاسلوب المتداول بين شيعة الحسين ويغلب على الظن ان سبب ذلك هو ان مصائب الحسين اشد حزنا واعظم تاثيرا من مصائب المسيح فعلى مؤرخينا ان يعرفوا حقيقة رسوم الاغيار وعاداتهم ولاينسبوها الى الجنون واني اعتقد بان بقاء القانون الاسلامي وظهور الديانة الاسلامية وترقي المسلمين هو مسبب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة وهكذا ما تراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة واباء الضيم ما هو الا بواسطة عزاء الحسين ومادامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لايقبلون ذلاً ولايدخلون في اسر احد . ينبغي لنا ان ندقق النظر في مايذكر من النكات الدقيقة الحيوية في مجالس اقامة عزاء الحسين ولقد حضرت دفعات في المجالس

الواحد اذا اشتكى منه عضو أنّت له سائر الاعضاء

وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطة واحدة يسعون فيها وراء كل مايرمون اليه

﴿ومنها﴾ ان هذه المآتم دعوة الى الدين باحسن صورة والطف اسلوب بل هي اعلا صرخة للاسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه الجاهل من سكراته، بما تشربه في قلوب المجتمعين وتنفثه في آذان المستمعين وتبثّه في العالم، وتصوره قالبا لجميع بني آدم، من اعلام الرسالة وآيات الاسلام وادلة الدين وحجج المسلمين والسيرة النبوية، والخصائص العلوية، ومصائب اهل البيت في سبيل الله، وصبرهم على الاذى في اعلاء كلمة الله

فأولو النظر والتحقيق يعلمون ان خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة الى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك بل لا مبشر بالاسلام على التحقيق

التي يذكرفيها عزاء الحسين في اسلامبول مع مترجم وسمعتهم يقولون الحسين الذي كان امامنا ومقتدانا ومن تجب طاعته ومتابعته علينا لم يتحمل الضيم ولم يدخل في طاعة يزيد وجاد بنفسه وعياله واولاده واملاكه في سبيل حفظ شرفه وعلو حسبه ومقامه وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا والشفاعة يوم القيامة والقرب من الله واعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة فرأيت بعد ذلك وعلمت انهم في الحقيقة يدرس بعضهم بعضا علنا بانكم ان كنتم شيعة الحسين واصحاب شرف ان كنتم تطلبون السيادة والفخر فلا تدخلوا في طاعة امثال يزيد ولا تتحملوا الذل بل اختاروا الموت بعزة على الحياة بذلة حتى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة وتحظوا بالفلاح. من المعلوم حال الامة التي تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد الى اللحد في اي درجة تكون في الملكات العظيمة والسجايا العاليه نعم هكذا امة تحوي كل نوع من انواع السعادة والشرف ويكون جميع افرادها جندا مدافعين عن عزهم وشرفهم هذا هو التمدن الحقيقي اليوم هذا هو طريق تعليم الحقوق هذا هو معنى تدريس اصول السياسة اه

سواهم وانت تعلم ان الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في انحاء البسيطة عن الالوف المؤلفة فلو بذل المسلمون شطر اموالهم ليوظفوا دعاة الى دينهم بعدد اولئك الخطباء ما تيسّر ذلك لهم ولو تيسر فلا يتيسر من يستمع الدعوة على ممر الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المآتم بكل رغبة واقبال

﴿ومنها﴾ ما قد اثبته العيان وشهد به الحس والوجدان من بثّ روح المعارف بسبب هذه المآتم ونشر اطراف من العلوم ببركتها اذ هي (بشرط كونها على اصولها) ارقى مدرسة للعوام يستضيئون فيها بانوار الحكم من جوامع الكلم ويلتقطون منها درر السير ويقفون بها على انواع العبر ويتلقون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حمله ولا يسعهم جهله بل هي المدرسة الوحيدة للعوام في جميع بلاد الاسلام

وقد تفنن خطباؤها فيما يصدعون به اولاً على اعوادها ثم يتخلصون منه الى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة ﴿فمنهم﴾ من يشنف المسامع ويشرّف الجوامع بالحكم النبوية والمواعظ العلوية او يتلو اولاً من كلام ائمة اهل البيت ما يقرب المستمعين الى الله، ويأخذ باعناقهم الى تقواه ﴿ومنهم﴾ من يتلو اولاً من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وتاريخ اوصيائه عليهم السلام ما يبعث المستمعين على مودتهم ويضطرهم الى بذل الجهد في طاعتهم ﴿ومنهم﴾ من ينبّه الافكار اولاً الى فضل رسول الله صلى الله عليه وآله ومقام اوصيائه عليهم السلام بما يسرده من الاحاديث الصحيحة والآيات المحكمة الصريحة ﴿ومنهم﴾ من يتلو اولاً من الاحكام الشرعية والعقائد الدينية ما تعمّ به بلوى المكلّفين ولا مندوحة عن معرفته لاحد من العالمين هذه سيرتهم المستمرة ايام حياتهم فهل ترى بجدّك للعوام مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها

وعظيم مقاصدها. — لاوسر الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها وحكمة الاوصياء الذين ارشدوا اولياءهم اليها

﴿ومنها﴾ الارتقاء في الخطابه ، والعروج الى منتهى البراعة ، كما يشهد به الوجدان ، ولا نحتاج فيه الى برهان

﴿ومنها﴾ العزاء عن كل مصيبة والسلوة لكل فادحة اذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم كما قيل في رثائهم عليهم السلام

انست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتيه

﴿ومنها﴾ انعاش اهل الفاقة واثلاج اكبادٍ حرار من اهل المسكنة على الدوام بما ينفق في هذه المآتم من الاموال في سبيل الله عزوجل وما يبذل فيها لاهل المسغبة وغيرهم وانت تعلم انه لاوسيلة لقراء تلك المآتم في التعيش غالبا الا هذه الوظيفة وهم من الرجال والنساء (بقطع النظر عمن يقومون بنفقته) الوف مؤلفة يعيشون ببركة اهل البيت ويتنعمون بيمن مآتمهم عليهم السلام

﴿ومنها﴾ ان المصلحة التي استشهد الحسين (بابي وامي) في سبيلها وسفك دمه الزكي تلقاءها تستوجب استمرار هذه المآتم وتقتضي دوامها الى يوم القيامه وبيان ذلك ان المنافقين حيث دفعوا اهل البيت عن مقامهم وازالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله واظهروا التاييد لدينه ، والخدمة لشريعته ، فوقع الالتباس ، واغتر بهم اكثر الناس ، ولما ملكوا من الامة ازمتها ، واستسلمت لهم برمتها ، حرموا (والناس في سِنة عن سوء مقاصدهم) من حلال الله ماشاءوا ، وحللوا من حرامه ماارادوا ، وعاثوا في الدين ، وحكموا فيه القاسطين ، فسملوا اعين اولياء الله ، وقطعوا ايديهم وارجلهم

من خلاف ، وصلبوهم على جذوع النخل ، ونفوهم عن عقر ديارهم حتى تفرقوا ايدي سبا ، ولعنوا امير المؤمنين وكنوا به عن اخيه الصادق الامين ، صلى الله عليه وآله وسلم

فلو دامت تلك الاحوال وهم اولياء السلطة المطلقة ، والرئاسة الروحانية ، لما ابقوا للاسلام عيناً ولا اثرا لكن ثار الحسين عليه السلام فاديا دين الله عزوجل بنفسه واحبائه حتى وردوا حياض المنايا ولسان حاله يقول

ان كان دين محمدٍ لم يستقم الا بقتلي ياسيوف خذيني

فاستنقذ الدين ، من ايدي الظالمين ، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم حتى تجلت عداوتهم لله عزوجل ، وظهر انتقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بذله عطاشا والماء تعبث فيه خنازير البر وكلابه ، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من اشباله احياء وقد غارت اعينهم من شدة العطش ، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من بني شيبة الحمد حتى وطأوا جثثهم بسنابك الخيل وحملوا رؤسهم على اطراف الأسنة وتركوا أشلاءهم الموزعة عارية بالعراء مباحةً لوحوش الأرض وطير السماء ثم ابرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحي مسلبات وطافوا البلاد بهن سبايا كأنهن من كوافر البربر حتى ادخلوهن تارة على ابن مرجانة واخرى على ابن آكلة الاكباد واوقفوهن على درج الجامع في دمشق حيث تباع جواري السبي

فلم تبق بعدها وقفة في عداوتهم لله ولا ريبة بنفاقهم في دين الاسلام وعلم حينئذٍ اهل البحث والتنقيب من اولي الالباب ان هذه امور دُبِّرت بليل وانها عن عهد السلف بها الى خلفه وما كانت ارتجالا من يزيد (وما المسبَّب لولم ينجح السبب) ثم لم تزل انوار هذه الحقيقة تتجلى لكل من نظر نظراً

فلسفياً في فجائع الطف وخطوب اهل البيت اوبحث بحث مدقق عن اساس تلك القوارع واسباب هاتيك الفظائع

وقد علم اهل التدقيق من اولي البصائر انه ما كان لهذا الفاجر ان يرتكب من اهل البيت ماارتكب لولا ما مهده سلفه من هدم سورهم واطفاء نورهم وحمله الناس على رقابهم وفعله الشنيع يوم بابهم

وتالله لولا ما بذله الحسين عليه السلام في سبيل احياء الدين من نفسه الزكية ونفوس احبائه بتلك الكيفية لأمسى الاسلام خبرا من الاخبار السالفة[1] واضحى المسلمون امّة من الامم التالفة اذلو بقي المنافقون

(١) كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب واليك ماذكره المسيو ماربين في كتابه السياسة الاسلامية بعين لفظ المعرّب قال من جملة كلام طويل لايشك صاحب الوجدان اذا دقق النظر في اوضاع ذاك العصر وكيفية نجاح بني امية في مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين ان الحسين قد احيا بقتله دين جده وقوانين الاسلام وان لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين لأجل قتل الحسين لم يكن الاسلام على ما هو عليه الآن قطعا بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد عزم الحسين على انجاح هذا المقصد واعلان الثورة ضد بني امية من يوم توفي والده فلما قام يزيد مقام معاويه خرج الحسين من المدينة وكان يظهر مقصده العالي ويبث روح الثورة في المراكز المهمة الاسلامية كمكة والعراق واين ماحل فازدادت نفرة قلوب المسلمين التي هي مقدمة الثورة من بني امية ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين وكان يعلم ان الثورة اذا اعلنت في جهة والحسين قائدها مع تنفر المسلمين عموما من حكومة بني امية وميل القلوب وتوجه الانظار الى الحسين عمت جميع البلاد وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم فعزم يزيد قبل كل شيء من يوم بويع على قتل الحسين ولقد كان هذا العزم اعظم خطأ سياسي صدر من بني امية الذي جعلهم نسياً منسيا ولم يبق منهم اثر ولا خبر

واعظم الادلة على ان الحسين اقدم على قتل نفسه ولم تكن في نظره سلطنة

على ما كانوا عليه من الظهور للعامة بالنيابة عن رسول الله والنُصح لدينه (ص) وهم اولياء السلطة المطلقة والارادة المقدّسة لغرسوا من شجرة النفاق

ولا رئاسة هو انه مضافا الى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التي وقف عليها زمن ابيه واخيه في قتال بني امية كان يعلم انه مع عدم تهيئة الاسباب له واقتدار يزيد لا يمكنه المقاومة والغلبة وكان يقول من يوم توفي والده انه يقتل واعلن يوم خروجه من المدينة انه يمضي الى القتل واظهر ذلك لاصحابه والذين اتبعوه من باب اتمام الحجة حتى يتفرق الذين التفوا حوله طمعاً بالدنيا وطالما كان يقول خير لي مصرع انا ملاقيه ولو لم يكن قصده ذلك ولم يكن عالما عامدا لجمع الجنود ولسعى في تكثير اصحابه وزيادة استعداده لا أن يفرق الذين كانوا معه ولكن لما لم يكن له قصد الا القتل مقدمة لذلك المقصد العالي واعلان الثورة المقدسة ضد يزيد راى ان خير الوسائل الى ذلك الوحدة والمظلومية فان اثر هكذا مصائب اشد واكثر في القلوب

من الظاهر ان الحسين مع ماكانت له من المحبوبية في قلوب المسلمين في ذلك الزمان لو كان يطلب قوة واستعداداً لامكنه ان يخرج الى حرب يزيد جيشا جرارا ولكنه لو صنع ذلك لكان قتله في سبيل طلب السلطنة والامارة ولم يفز بالمظلومية التي انتجت تلك الثورة العظيمة هذا هو الذي سبب ان لايبقى معه احدا الا الذين لا يمكن انفكاكهم عنه كاولاده واخوانه وبني اخوته وبني اعمامه وجماعة من خواص اصحابه حتى انه امر هؤلاء ايضا بمفارقته ولكنهم ابوا عليه ذلك وهؤلاء ايضا كانوا من المعروفين بين المسلمين بجلالة القدر وعظم المنزلة وقتلهم معه مما يزيد في عظم المصيبة واثر الوقعة نعم ان الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده في افشاء ظلم بني امية واظهار عداوتهم لبني هاشم وسلك في ذلك كل طريق

لما كان يعلم عداوة بني امية له ولبني هاشم ويعرف انهم بعد قتله يأسرون عياله واطفاله وذلك يؤيد مقصده ويكون له اثر عظيم في قلوب المسلمين سيما العرب كما وقع ذلك حملهم معه وجاء بهم من المدينة نعم ان ظلم بني امية وقساوة قلوبهم في معاملاتهم مع حرم محمد وصباياه اثر في قلوب المسلمين تاثيرا عظيما لا ينقص عن اثر قتله واصحابه ولقد اظهر في فعله هذا عقيدة بني امية في الاسلام وسلوكهم مع المسلمين سيما ذراري نبيهم لهذا كان الحسين يقول في جواب اصحابه

ما ارادوا وبثّوا من روح الزّندقة ماشاءوا وفعلوا بالدين ماتوجبه عداوتهم له وارتكبوا من الشريعة كل امر يقتضيه نفاقهم

والذين كانوا يمنعونه عن هذا السفر اني امضي الى القتل ولما كانت افكار المانعين محدودة وانظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين العالية لم يألوا جهدهم في منعه وآخر ما اجابهم به ان قال لهم شاء الله ذلك وجدي امرني به فقالوا ان كنت تمضي الى القتل فما وجه حملك النسوة والاطفال فقال ان الله شاء ان يراهن سبايا ولما كان بينهم رئيسا روحانيا لم يكن لهم بد عن السكوت * ومما يدل على انه لم يكن له غرض الا ذلك المقصد العالي الذي كان في نفسه ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وامارة ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية كما تصوره بعض المؤرخين منا انه قال لبعض ذوي الباهة قبل الواقعة باعوام كثيرة على سبيل التسلية ان بعد قتلي وظهور تلك المصائب المحزنة يبعث الله رجالا يعرفون الحق من الباطل يزورون قبورنا ويبكون على مصابنا ويأخذون بثارنا من اعدائنا اولئك جماعة ينشرون دين الله وشريعة جدي وانا وجدي نحبهم وهم يحشرون معنا يوم القيامة* ولو تأمل المتأمل في كلام الحسين وحركاته يرى انه لم يترك طريقا من السياسة الا سلكه في اظهار شنائع بني امية وعداوتهم الذاتية لبني هاشم ومظلومية نفسه وهذا مما يدل على حسن سياسته وقوة قلبه وتضحية نفسه في طريق الوصول الى المقصد الذي كان في نظره حتى انه في آخر ساعات حياته عمل عملا حير عقول الفلاسفة ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة وكثرة العطش والجراحات وهو قصة الرضيع

لما كان يعلم ان بني امية لا يرحمون له صغيرا رفع طفله الصغير تعظيما للمصيبة على يده امام القوم وطلب منهم ان يأتوه شربة من الماء فلم يجيبوه الا بالسهم ويغلب على الظن ان غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدة عداوة بني امية لبني هاشم وانها الى اي درجة بلغت ولا يظن احد ان يزيد كان مجبورا على تلك الاقدامات الفجيعة لاجل الدفاع عن نفسه لان قتل الطفل الرضيع في تلك الحال بتلك الكيفية ليس هو الا توحش وعداوة سبعية منافية لقواعد كل دين وشريعة ويمكن ان تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني امية ورفع الستار عن قبائح اعمالهم ونياتهم الفاسدة بين العالم سيما المسلمين وانهم يخالفون الاسلام في حركاتهم بل يسعون بعصبية جاهلية

وَاَما وشيبة الحسين المخضوبة بدمه الطاهر لولا ما تحمله سلام الله عليه في سبيل الله ما قامت لاهل البيت عليهم السلام (وهم حجج الله) قائمة

الى اضمحلال آل محمد وجعلهم ايدي سبا * ونظراً لتلك المقاصد العالية التي كانت في نظر الحسين مضافا الى وفور علمه وسياسته التي كان لا يشك فيها اثنان لم يرتكب امرا يوجب مجبورية بني امية للدفاع حتى انه مع ذلك النفوذ والاقتدار الذي كان له في ذلك العصر لم يسع في تسخير البلاد الاسلامية وضمها اليه ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد الى ان حاصروه في واد غير ذي زرع قبل ان تبدو منه اقل حركة عدائية او تظهر منه ثورة ضد بني امية* لم يقل الحسين يوما سأكون ملكا او سلطانا واصبح صاحب سلطة نعم كان يبث روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني امية واضمحلال الدين ان دام ذلك الحال وكان يخبر بقتله ومظلوميته وهو مسرور ولما حوصر في تلك الارض القفراء اظهر لهم من باب اتمام الحجة بانهم لو تركوه لرحل بعياله واطفاله وخرج من سلطة يزيد ولقد كان لهذا الاظهار الدال على سلامة نفس الحسين في قلوب المسلمين غاية التأثير* قتل قبل الحسين ظلما وعدوانا كثير من الرؤساء الروحانيين وارباب الديانات وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضد الاعداء كما وقع مكررا في بني اسرائيل وقصة يحيى من اعظم الحوادث التاريخية ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها الى ذلك العهد ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع *

لم يرشدنا التاريخ الى احد من الروحانيين وارباب الديانات انه اقدم على قتل نفسه عالما عامدا لمقاصد عالية لا تنجح الا بقتله فان كل واحد من ارباب الديانات الذين قتلوا ثار عليهم اعداؤهم وقتلوهم ظلما وبمقدار مظلوميتهم قامت الثورة بعدهم ومقاصد الحسين كانت عن علم وحكمة وسياسة وليس لها نظير في التاريخ فانه لم يزل يوالي السعي في تهيئة اسباب قتله نظرا لذلك المقصد العالي ولم نجد في التاريخ رجلا ضحى حياته عالما عامدا لترويج ديانته من بعده الا الحسين* المصائب التي تحملها الحسين في طريق احياء دين جده تفوق على مصائب ارباب الديانات السابقين ولم ترد على احد منهم نعم ان هناك رجالا قتلوا في طريق احياء الدين ولكنهم لم يكونوا كالحسين فانه ضحى نفسه العزيزة في طريق احياء دين جده وفداه باولاده واخوانه واقربائه واحبابه واملاكه وعياله ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتى تكون في

ولا عرفهم (وهم اولو الامر) ممن تأخر عنهم احد لكنه (بابي وامي) فضح المنافقين واسقطهم من انظار العالمين واستلفت الابصار بمصيبته الى

حكم مصيبة واحدة بل وقعت متوالية واحدة بعد اخرى ويختص الحسين دون غيره بتواتر امثال هذه المصائب كما يشهد له التاريخ * لم تنته المصائب التي وردت على الحسين من قتله وقتل اصحابه وتسيير نسائه وبناته الا وانكشف الغطاء عن سرائر بني امية وقبائح اعمالهم وظهرت بين المسلمين الحسيات السياسية وتوطدت اسباب الثورة ضد سلطنة يزيد وبني امية وعلم الجميع ان بني امية مخربو الاسلام وصار الجميع يرفض بدعهم وتقولاتهم وعرفوا بالظلم والغصب بالعكس من بني هاشم فانهم عرفوا بالمظلومية وان لهم الرئاسة الروحانية بالاستحقاق واليهم تنمى الحقيقة الروحانية *

كأنّ المسلمين بعد قتل الحسين قد دخلوا في دور جديد وظهرت الروحانية الاسلامية باجلى مظاهرها وتجددت بعد ان كانت مندرسة غائبة عن اذهان المسلمين وكما انه لايشك اثنان في تفوق مصائب الحسين على جميع مصائب روحاني السلف فكذلك لايشك في الثورة التي حدثت بعده بانها فاقت سائر الثورات السالفة وان امتدادها واثرها اكثر وان بها ظهرت للعالم مظلومية آل محمد * فكانت اول نتيجة هذه الثورة اختصاص الرئاسة الروحانية التي لها أهمية عظمى في عالم السياسة ببني هاشم وخصوصا في اولاد الحسين (فكان منهم ائمة الشيعة) والى حال التاريخ ينظر عموم المسلمين الى بني هاشم سيما اولاد الحسين نظرهم الى الروحانيين ولم يطل العهد حتى نزعت تلك السلطنة من بني امية وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد في اقل من قرن واندرست آثارهم على وجه لم يبق منهم عين ولا اثر واينما ذكرت اسماؤهم في متون الكتب قرنها المسلمون بكلمة الشماتة وكل ذلك نتيجة سياسة الحسين الذي يمكن ان يقال انه لم يات في ارباب الديانات والروحانيين رجل عرف عواقب الامور مع بعد نظر وحسن سياسة كالحسين والتاريخ لم يرشدنا *

قبل ان تصل سبايا الحسين الى الشام قامت الثورة ضد يزيد وظهرت بمظلومية الحسين سرائر بني امية وكشف الغطاء عن نياتهم وتوجه اللوم على يزيد حتى من اهل داره وحرمه وصار يزيد يسمع تقديس الحسين واولاد علي وعظمتهم ومظلوميتهم بعد ان لم يكن يمكن ذكرهم عنده بخير وكان يصعب عليه ذلك الا انه لم يكن له بد غير السكوت ولما اراد تبرأة نفسه من تلك الاعمال التي المسؤولية على عماله ولم يزل يسمع

سائر مصائب اهل البيت واضطر الناس بجلول هذه القارعة الى البحث عن اساسها وحملهم على التنقيب عن اسبابها والفحص عن جذرها وبذرها واستنهض الهمم الى حفظ مقام اهل البيت (ع) وحرّك الحمية على الانتصار لهم لأن الطبيعة البشرية والجبلة الانسانية تنتصر للمظلومين وتنتقم بجهدها من الظالمين فاندفع المسلمون الى موالاة اهل البيت حتى كأنهم قد دخلوا (بعد فاجعة الطف) في دور جديد وظهرت الروحانية الاسلامية باجلى مظاهرها وسطع نور اهل البيت بعد ان كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين

محامد الحسين قال ذات يوم ان سلطنة الحسين كانت اهون علي من هذا المقام العالي الذي فاز به آل علي وبنو هاشم * وبالآخرة فشيعة الحسين لم يزالوا يستفيدون من هذه الثورات وتزيد قوة بني هاشم وعظمتهم حتى لم يمض اقل من قرن الا وصارت السلطنة الاسلامية الوسيعة في بني هاشم من دون مزاحم وابادوا بني امية على وجه لم يبق منهم اسم ولا رسم غير افراد تسلموا زمام السلطنة في الاندلس الى كم قرن ولم يبق فعلا من تلك العظمة التي سيطرت على المسلمين قروناً عديدة اثر ولم يوجد من اولئك شخص واو تحت ستر الخفاء ولو وجد فلا يمكنه اظهار نسبه نظر الشناعة ذلك ولما انتهت السلطنة بعد قرن الى بني هاشم كانت في اولاد عم الحسين دون اولاده لانهم اعتزلوا الناس واذعن الجميع لهم بالرئاسة الروحانية نعم نال اولاد عم الحسين هذه السلطة وتوفقوا بسبب ثورات شيعة الحسين للقبض على زمامها ولكنهم بعد ان استلموا زمام الامور وانقاد لهم الجمهور صاروا في صدد منع تلك الثورات التي نالوا السلطة ببركتها خوفا من رجوع السلطنة الاسلامية الى اولاد الحسين وانتزاعها من ايديهم كما انتزعت من بني امية فقلّت تلك الثورات يوما فيوما لمنع هؤلاء اولا ولاضمحلال بني امية ثانيا فلما رأى عقلاء شيعة علي ذلك عرفوا ان تلك الثورات لاتقاوم سلطنة اولاد عمهم لزيادة اقتدارهم وتفرق الاهواء والآراء العمومية تركوها بحسب الظاهر ولكنهم في الحقيقة غيروا شكلها واظهروها بصورة اخرى اعني بالاجتماع وعقد الاجتماعات وذكر الوقائع المحزنة والمصائب المؤلمة التي وردت على الحسين حفظا لروح الثورة وتمهيدا لأسباب النهضة وصونا لها عن الاضمحلال والاندراس اهـ

وانتبه الناس الى نصوص الكتاب والسنة فيهم عليهم السلام فهدى الله بها من هدى لدينه وضل عنها من عمي عن سبيله

وكان الحسين (بابي وامي) على يقين من ترتب هذه الآثار الشريفة على قتله، وانتهاب رحله، وذبح اطفاله، وسبي عياله، بل لم يجد طريقا لارشاد الخلق، الى الائمة بالحق، واستنقاذ الدين، من ائمة المنافقين، (الذين خفي مكرهم وعلا في نفوس العامة امرهم) الا الاستسلام لتلك الرزايا والصبر على هاتيك البلايا وما قصد كربلاء الا لتحمل ذلك البلاء عهد معهود عن اخيه عن ابيه عن جده عن الله عز وجل ويرشدك الى ذلك (مضافا الى اخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة) دلائل اقواله وقرائن افعاله فانها نص فيما قلناه وحسبك منها جوابه لام سلمة اذ قالت له (كما في البحار وجلاء العيون وغيرهما) يابني لا تحزني بخروجك الى العراق فاني سمعت جدك صلى الله عليه وآله يقول يقتل ولدي الحسين بارض يقال لها كربلاء فقال لها يا امّاه وانا والله اعلم ذلك واني مقتول لامحالة وليس لي منه بد وقد شاء الله ان يراني مقتولا ويرى حرمي مشردين واطفالي مذبوحين

وجوابه لاخيه عمر اذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد حدثني اخوك ابو محمد عن ابيه ثم بكى حتى علا شهيقه فضمه الحسين اليه وقال (كما في الملهوف وغيره) حدثك اني مقتول قال حوشيت يا ابن رسول الله فقال بحق ابيك بقتلي خبرك قال نعم فلو بايعت فقال عليه السلام حدثني ابي ان رسول الله (ص) اخبره بقتله وقتلي وان تربتي تكون بقرب تربته اتظن انك علمت مالم اعلم

والرؤيا التي رآها في مسجد جده صلى الله عليه وآله حين ذهب ليودعه وقول النبي له فيها (كما في امالي الصدوق وغيره) بابي انت كأني اراك مرملا بدمك بين عصابة من هذه الامة مالهم عند الله من خلاق

وكتابه الى بني هاشم لما فصل من المدينة وقوله فيه (كما في الملهوف نقلا عن رسائل ثقة الاسلام) اما بعد فان من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح وخطبته ليلة خروجه من مكة وقوله فيها (كما في الملهوف وغيره) كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا الى ان قال الا ومن كان باذلا فينا مهجته موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحا ان شاء الله تعالى وقوله (كما في الملهوف وغيره) لولا تقارب الاشياء وهبوط الاجل لقاتلتهم بهولاء ولكني اعلم يقينا ان هناك مصرعي ومصرع اصحابي لا ينجو منهم الا ولدي علي

وجوابه لأخيه محمد بن الحنفية اذ قال له (كما في الملهوف وغيره) يا اخي الم تعدني النظر فيما سألتك قال بلى ولكن اتاني رسول الله بعد ما فارقتك فقال ياحسين اخرج فان الله قد شاء ان يراك قتيلا فقال ابن الحنفية انا لله وانا اليه راجعون فما معنى حملك هذه النسوة وانت تخرج على مثل هذه الحال فقال له قال لي ان الله شاء ان يراهن سبايا

وجوابه لابن عباس وابن الزبير اذ اشارا عليه بالأمساك فقال لهما (كما في الملهوف وغيره) ان رسول الله امرني بأمر وانا ماضٍ فيه فخرج ابن عباس وهو يقول واحسيناه وجوابه لعبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد اذ حاولا منه الرجوع فابى وقال لهما (كما في تاريخي ابن جرير وابن الاثير وغيرهما) رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وامرني بما انا ماض له وقوله (في كلام له مع ابن الزبير كما في تاريخي ابن جرير وابن الاثير وغيرهما) وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم ووالله ليعتدُنّ كما اعتدت اليهود في السبت وقوله في مقام آخر (كما في كامل ابن الاثير وغيره) والله لايدعونني حتى يستخرجوا

هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا اذلّ من فرام المرأة (يعني من خرقة الحيض)

وقوله لأبي هرة (كما في تاريخ ابن جرير وغيره) وايم الله لتقتلني الفئة الباغية وروءياه التي رآها لما ارتحل من قصر بني مقاتل (كما في تاريخ الطبري وغيره) فقال حين انتبه انا لله وانا اليه راجعون الحمدلله رب العالمين مرتين اوثلاثاً (قالوا) فاقبل عليه ابنه علي فقال يا ابتاه جعلت فداك مما حمدت الله واسترجعت فقال يابني خفقت برأسي فمن لي فارس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم فعلمت انها انفسنا نُعيت الينا فقال يا ابت لا اراك الله سوءً السنا على الحق قال بلى والذي اليه مرجع العباد قال اذاً لا نبالي نموت محقين فقال له جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده

وقوله لما اخبر بقتل قيس بن مسهر الصيداوي (كما في تاريخ الطبري وغيره) فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا الى غير ذلك من اقواله الصريحة بانه كان على يقين مما انتهت اليه حاله وانه ماخرج الا ليبذل في سبيل الله نفسه وجميع ماملكته يده ويضحي في احياء دين الله اولاده واخوته وابناء اخيه وبني عمومته وخاصة اوليائه والعقائل الطاهرات من نسائه

اذ لم ير السبط للدين الحنيف شفا ... الا اذا دمه في نصره سفكا
وما سمعنا عليلا لا علاج له ... الا بنفس مداويه اذا هلكا
بقتله فاح للأسلام طيب هدىً ... فكلّما ذكرته المسلمون ذكا
وصان سترَ الهدى عن كلّ خائنة ... سترُ الفواطم يوم الطف اذهتكا
نفسي الفداء لفادٍ شرع والده ... بنفسه وباهليه وما ملكا
قد أثر الدّين ان يحيى فقحّمها ... حيث استقام القنا الخطي واشتبكا (١)

(١) هذه الابيات من قصيدة للشريف الفاضل السيد جعفر الحلي يرثي بها جده (ع)

على ان الامر الذي انتهت اليه حاله كان من الوضوح بمثابة لم تخف على احد وقد نهاه عن ذلك الوجه (جهلا بمقاصده السامية) كثيرٌ من الناس واشفقوا عليه وانذروه بلوءم بني امية وغدر اهل العراق فقال له اخوه محمد بن الحنفية (كما في الملهوف وغيره) ياأخي ان اهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بابيك واخيك وقد خفت ان يكون حالك كحال من مضى فان رأيت ان تقيم فانك اعزّ من في الحرم وامنعه فإن خفت فسر الى اليمن اوبعض نواحي البرّ فانك امنع الناس به ولا يُقدَر عليك فرده الحسين (ع) برأفة ورفق وقال انظر فيما قلت واتاه ابن عباس فقال يا ابن عم قد ارجف الناس انك سائر الى العراق فبيّن لي ما انت صانع قال اني قد اجمعتُ المسير في احد يومي هذين ان شاء الله تعالى فقال له ابن عباس (كما في تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما) اعيذك بالله من ذلك اتسير الى قوم قتلوا اميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انما دعوك اليهم واميرهم عليهم قاهرٌ لهم وعماله تجبي بلادهم فانهم انما دعوك الى الحرب والقتال ولا آمن عليك ان يغرُّوك ويُكذِبوك ويخالفوك ويخذلوك وان يُستنفَروا اليك فيكونوا اشد الناس عليك فرده الحسين (ع) رد رحمةٍ وحنان فقال له استخير الله وانظر مايكون فخرج ابن عباس ثم جاءه مرة اخرى فقال له (كما في تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما) ياابن عم اني اتصبّر ولا اصبر اني اتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ان اهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم اقم بهذا البلد فانك سيد اهل الحجاز فان كان اهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم فان ابيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا ولأبيك بها شيعة فتكتب الى الناس وتبث

دعاتك فاني ارجو أن ياتيك عندذلك الذي تحب في عافية فقال له الحسين (ع) يا ابن عم اني لأعلم والله انك ناصح مشفق ولكن قد ازمعت واجمعت على المسير ودخل عليه عمر بن عبد الرحمن المخزومي فقال له (كما في تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما) اني مشفق عليك انك تأتي بلدا فيه عماله وامراؤه ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك ان يقاتلك من وعدك نصره فقال له الحسين (ع) جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد علمتُ انك مشيتَ بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من امر يكن وكتب اليه عبد الله بن جعفر بعد خروجه من مكة (كما في تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما) اما بعد فاني اسألك بالله لمّا انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فاني مشفق عليك من هذا الوجه ان يكون فيه هلاكك واستئصال اهل بيتك وان هلكت اليوم طفئ نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني في اثر كتابي والسلام وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد (وهو عامل يزيد يومئذ بمكة) فقال له اكتب للحسين كتابا تجعل له الامان فيه وتمنيه فيه البر والصلة واسأله الرجوع ففعل عمرو ذلك وارسل الكتاب مع اخيه يحيى بن سعيد وعبد الله ابن جعفر فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا ان يرجع فلم يفعل

وقال له عبد الله بن مطيع اذ اجتمع به في الطريق على بعض مياه العرب (كما في تاريخ الطبري وغيره) اذكّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام ان تنتهك انشدك الله في حرمة رسول الله (ص) انشدك الله في حرمة العرب فوالله لأن طلبت ما في ايدي بني امية ليقتلنّك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك احدا ابدا والله انها لحرمة الاسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأتِ الكوفة ولا تعرّضْ لِبني امية قالوا فابى

الا ان يمضي (انجازا لمقاصده السامية) ولقيه احد بني عكرمة ببطن العقبة (كما في تاريخ الطبري وغيره) فقال له انشدك الله لمّا انصرفت فوالله لا تقدم الا على الأسنة وحدّ السيوف فان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطّأوا لك الاشياء فقدمت عليهم كان ذلك رايا فامّا على هذه الحال فاني لا ارى لك ان تفعل فقال له يا عبد الله انه ليس يخفى عليّ ألرأيُ ما رأيت ولكن الله لا يُغلب على امره ولقيه بعض بني تميم قريبا من القادسية (كما في تاريخ الطبري وغيره) فقال له ارجع فاني لم ادع لك خيرا ارجوه وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر في الصفاح (كما في تاريخ الطبري وغيره) فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية وما التقى في الطريق باحد الا التمسه على الرجوع اشفاقا عليه من لؤم بني امية وغدر اهل العراق وما كان ليخفى عليه ما ظهر لاغلب الناس لكنه وهؤلاء كما قيل (انت بوادٍ والعذول بوادي)

ما نزل (بابي وامي) منزلاً ولا ارتحل منه (كما في الارشاد وغيره) الا ذكر يحيى بن زكريا وقتله وقال يوما من هوان الدنيا على الله ان راس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني اسرائيل فهل تراه اراد بهذا غير الاشارة الى ان سبيله في هذا الوجه انما هو سبيل يحيى عليهما السلام واخبره الاسديان وهو نازل في الثعلبيه (كما في تاريخ الطبري وغيره) بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وانهما يجران بارجلهما في الأسواق بلا نكير فهل يمكن بعد هذا ان يبقى له امل بنصرة اهل الكوفة او طمع في شيء من خيرهم كلا والله ما جاءهم الا يائساً منهم عالما بكل ما كان منهم عليه وقد كتب وهو نازل بزبالة كتاباً قُرئ بامره على الناس وفيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانه قد اتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله

ابن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن احب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام قال محمد بن جرير الطبري في تاريخ الامم والملوك فتفرق الناس عنه تفرقا فاخذوا يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين جاءوا معه من المدينة (قال) وانما فعل ذلك لانه ظن انما اتبعه الاعراب لأنهم ظنوا انه ياتي بلدا قد استقامت له طاعة اهله فكره ان يسيروا معه الاَّ وهم يعلمون على ما يقدمون (قال) وقد علم انهم اذا بيَّن لهم لم يصحبه الا من يريد مواساته والموت معه اه

وذكر اهل الاخبار ان الطرماح بن عدي لما اجتمع به في عذيب الهجانات دنا منه فقال له (كما في تاريخ الطبري وغيره) والله اني لانظر فما ارى معك احدا ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين اراهم ملازميك (يعني الحر واصحابه) لكان كفى بهم وقد رايت قبل خروجي من الكوفة اليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً اكثر منه فسالت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرَضوا ثم يسرحوا الى حرب الحسين فانشدك الله ان قدرت ان لا تقدم عليهم شبراً الا فعلت فان اردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى من رايك ويستبين لك ما انت صانع فسر حتى انزلك مناع جبلنا الذي يدعى اجاء امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الاسود والاحمر والله ما دخل علينا فيه ذل قط فاسير معك حتى انزلك القريَّة ثم نبعث الى الرجال ممن بأجاء وسلمى من طيء فوالله لا يأتي عليك عشرة ايام حتى تاتيك طيء رجالا وركبانا ثم اقم فينا مابدا لك فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين الف طائي يضربون بين يديك باسيافهم والله لا يُوصَل اليك ابدا ومنهم عين تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيرا وابى ان ينصرف عن مقصده

وانت تعلم انه لو كان له رغبة في غلبة او ميل الى سلطان لكان لكلام الطرماح وقع في نفسه عليه السلام ولظهر منه الميل الى ماعرضه عليه لكنه (بأبي وامي) ابى الا الفوز بالشهادة والموت في احياء دين الاسلام وقد صرح بذلك فيما تمثل به اذ قال له الحر اذكرك الله في نفسك فاني اشهد لان قاتلت لتقتلن فقال عليه السلام (كما في تاريخ الطبري وغيره)

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى اذا مانوى حقا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبورا وخالف مجرما

وحسبك في اثبات علمه من اول الامر بما انتهت اليه حاله ماسمعته من إخبار النبي صلى الله عليه وآله بقتله في شاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء وبكائه عليه ونداء امير المؤمنين عليه السلام لما حاذى نينوى وهو منصرف الى صفين صبرا اباعبد الله صبرا اباعبد الله بشاطىء الفرات وقوله اذ مرّ بكربلاء هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم وقول الحسين عليه السلام لأخيه عمر حدثني ابي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخبره بقتله وقتلي وان تربتي تكون بقرب تربته وقول الحسن للحسين عليهما السلام (كما في امالي الصدوق والملهوف وغيرهما) من جملة كلام كان بينهما ولكن لا يوم كيومك يا ابا عبد الله يزدلف اليك ثلاثون الف رجل فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها يحل الله ببني امية اللعنة

الى غير ذلك من الاخبار الدالة على ان قتل الحسين عليه السلام كان معروفا عند اهل البيت منذ اخبر الله به نبيه صلى الله عليه وآله بل صريح اخبارنا ان ذلك مما اوحي الى الانبياء السابقين وقد سمعت ما اشرنا اليه من بكائهم عليهم السلام ويظهر من بعض الاخبار ان قتل

الحسين كان معروفا عند جملة من الصحابة والتابعين حتى انهم ليعلمون ان قاتله عمر بن سعد وحسبك ما نقله ابن الاثير (حيث ذكر مقتل عمر بن سعد في كامله عن عبد الله بن شريك قال ادركت اصحاب الاردية المعلمة واصحاب البرانس السود من اصحاب السواري اذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل ان يقتله (قال) وقال ابن سيرين قال علي لعمر بن سعد كيف انت اذا قمت مقاما تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار اه

اترى الحسين عليه السلام كان جاهلا بما علمه اصحاب السواري كلا والله ما علم اصحاب البرانس السود ذلك الا منه اومن اخيه او من جده اومن ابيه وقد اطلنا الكلام في هذا المقام اذ لم نجد من وفّاه حقه وخرج من عهدة التكليف بايضاحه والحمد لله على التوفيق لتحرير هذه المسألة وتقرير شواهدها وادلتها على وجه تركن النفس اليه ولا يجد المنصف بدا من البناء عليه بل لا اظن احدا يقف على ما تلوناه ثم يرتاب فيما قررناه والآن نشرع في الكتاب متوكلين على الله عز وجل وقد جعلناه اربعة اجزاء

﴿ الجزء الاول ﴾

﴿يشتمل على ثلاثة فصول﴾

﴿ الفصل الاول ﴾ فيما يتلى بتمامه صبيحة العاشر من المحرم ويتلى مجالس متعددة في سائر ايام العشر اوفي بقية ايام السنة فهو ليوم العاشر مجلس واحد ولغيره اثنا عشر مجلسا وقد جعلت العلامة على انتهاء المجلس ابياتا في الرثاء تناسب المقام ثم عقّبتها بنقط سبع تكون بشكل النقط التي تحت هذا السطر

* * * * * * * *

فليتنه القارىء بوقوفه عليها ، وليذكرني بادعيته فاني مضطر اليها ، والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ولنشرع في المقصود فنقول

كان (١) مولدُ الحسين عليه السلام لخمسِ ليالٍ خلون (٢) من شعبان سنةَ اربع من الهجرة ، ولما وُلدَ هبط جبرائيلُ عليه السلام ومعه الف ملك ، يهنّون النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بولادته ، وعن امّ الفضل زوجةِ العباس عليهما الرحمة ، قالت رايت في منامي قبلَ مولدِ الحسين عليه السلام كأنّ قطعةً من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله قُطعت فوضعت في حجري فقصصتُ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال يا امَّ الفضل رايتِ خيراً ان صدقت رؤياكِ فان فاطمة ستلد غلاماً وادفعه اليك لترضعيه قالت فجرى الأمر على ذلك فجئت به يوماً اليه فوضعتهُ في حجره فبينا هو يقبله اذبال فقطرت من بوله قطرة على ثوب النبي صلى الله عليه وآله فقرصته فبكى فقال النبي صلى الله عليه وآله كالمُغضَب مهلاً يا امَّ الفضل هذا ثوبي يغسل وقد اوجعتِ ابني قالت فتركته في حجره وقمتُ لآتيه بماء فجئتُ اليه فوجدته يبكي فقلت مما بكاؤك يارسول الله فقال اتاني جبرائيل فاخبرني انّ امتي ستقتل ولدي هذا ٠—٠ ولما اتت على الحسين من مولده سنةٌ كاملة هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر ملكا محمرةً وجوهُهم باكيةً عيونُهم فقالوا يا محمد انه سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيلَ من قابيل وسيُعطى مثل اجرِ هابيل ويحملُ قاتلهُ مثلَ وزرِ قابيل ولم يبقَ في السموات ملكٌ مقرب الا نزلَ الى النبي صلى الله عليه وآله يُقرِئُه السلام عن ربّه عزّ وجل ويعزيه في الحسين عليه السلام ويخبره في ثواب مايعطى وربما عرض عليه تربته فيقول النبي صلى الله عليه وآله اللهم اخذل من خذله واقتل من قتله ولا تمتعه فيما طلب فلما كان له من العمر سنتان خرج النبي صلى الله عليه وآله في سفر له فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت

(١) هذا المجلس يناسب اليوم الاول من المحرم (٢) كذا في ارشاد المفيد وقيل غير ذلك

عيناه فسئل عن ذلك فقال هذا جبرائيل يخبرني عن ارض بشط الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين وكأني انظر الى مصرعه ومدفنه ثم رجع مهموماً مغموماً فصعد المنبر يخطب والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه فلما فرغ وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على أس الحسين ثم رفع رأسه الشريف الى السماء وقال اللهم اني محمدٌ عبدك ونبيك وهذان اطائب عترتي وخيار ذريتي واروميتي وقد اخبرني جبرائيل ان ولدي هذا مقتول مخذول اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء ولا تباركِ اللهم في قاتله وخاذله فضجَّ الناسُ في المسجد بالبكاء ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله فما لبث ان رجع متغير اللونِ محمرَّ الوجه فخطب خطبةً اخرى موجزة وعيناه تهملان دموعا ثم قال أيُّها الناس اني خلفت فيكم الثَّقَلَين كتاب الله عزوجل وعترتي اهل بيتي واروميتي ومزاج مائي وثمرة فوءادي ومهجتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض الا واني انتظرهما واني لااسئلكم في ذلك الاما امرني ربي ان اسئلكموه المودَّة فى القربى فانظروا ان لاتلقوني غداً على الحوض وقد ابغضتم عترتي وظلمتموهم الا وانه سترد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة الاولى رايةٌ سوداء مظلمة قد فزعت لها الملائكة فتقف عليَّ فاقول من انتم فينسون ذكري فيقولون نحن من اهل التوحيد من العرب فاقول لهم انا احمد نبي العرب والعجم فيقولون نحن من امتك ياأحمد فاقول لهم كيف خلفتموني في اهلي وعترتي وكتاب ربي فيقولون أمَّا الكتاب فضيعناه (١) واما عترتك فحرصنا ان نبيدهم عن آخرهم من جديد الارض

(١) يعني ان الله تعالى يقهرهم على النطق بذلك (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون)

فأُوَلِّي عنهم وجهي فيصدرون ظماء عطاشى مسودة وجوههم ثم ترد عليَّ راية اخرى اشدُّ سواداً من الأولى فاقول لهم كيف خلفتموني في الثَّقَلين الاكبر والاصغر فيقولون اما الاكبر فخالفناه واما الاصغر فخذلناه ومزَّقناه كلَّ ممزَّق فاقول اليكم عني فيصدرون ظماء عطاشى مسودة وجوههم ثم ترد عليَّ راية اخرى تلمع وجوههم نوراً فاقول لهم من انتم فيقولون نحن اهل كلمة التوحيد والتقوى نحن امة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ونحن بقيةُ اهل الحق حملنا كتاب ربنا فحللنا حلاله وحرمنا حرامه واحبنا ذرية نبينا فنصرناهم من كل ما نصرنا منه انفسنا وقاتلنا معهم من ناواهم فاقول لهم أبشروا فأني نبيكم محمد ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم ثم اسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين مستبشرين ثم يدخلون الجنة خالدين فيها ابد الآبدين . — . وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيبا بماء يدعى خمًّا فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال ايها الناس فانما انا بشرٌ يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلَين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وفي رواية وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض سالت ربي ذلك لهما فلا تقدَّموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم وفي رواية عن زيد ايضا قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حجَّة الوداع فقال انّي فرطُكم على الحوضِ وانكم تبعي وانكم توشكون ان تردوا عليَّ الحوضَ فاسالكم عن ثَقَلَيَّ كيف خلفتموني فيهما فقام رجل من المهاجرين فقال ما الثقلان يارسول الله قال الاكبرُ منهما كتابُ الله والاصغرُ عترتي فمن استقبل قبلتي واجاب دعوتي فليستوص

بهم خيرا فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم واني قد سألت لهم اللطيف الخبير فاعطاني ان يردوا عليّ الحوض كهاتين واشار بالمسبّحتين ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل ووليهما لي وليٌّ وعدوهما لي عدوٌ

وقال صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي (بابي وامي) فيه والحجرة غاصةٌ باصحابه يوشك ان اقبض قبضا سريعا فينطلق بي وقد قدّمت اليكم القول معذرة اليكم الا اني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي اهل بيتي وكان آخر ماتكلم به (فيما رواه الطبراني عن ابن عمر) اخلفوني في اهل بيتي — بأبي انت وامي يارسول الله اين موضع القبول منهم بعهدك الى اخيك، ووصاياك ببضعتك الزهراء وبنيك، وقد هدم القوم مابنيت واضلوا جانبا ممن هديت وفعلوا بعترتك مالايفعلون بالخوارج وقابلوهم بما لا يقابلون به اهل الخنى والريب

تركوهمُ شتى مصا ئبهم واجمعُها فظيعه
فكابد للسم قد سقيت حشاشته نقيعه
ومضرجٌ بالسيف آ ثر عزّه وابى خضوعه
ومصفد لله سلـ ـم امر ما قاسى جميعه
وسبية باتت باؤ مى الهم مهجتها لسيعه
سُلبت وما سُلبت محا مدَ عِزّها الغرّ البديعه
وكرائم التنزيل بيـ ـنَ امية برزت مروعه[1]

* * * * * * * *

(١) هذه الابيات من قصيدة للشريف الفاضل السيد حيدر الحلي يرثي بها جده (ع)

(و)لما [1] هلك معاوية بن ابي سفيان وذلك في رجب سنة ستين كتب ابنه يزيد لعنه الله الى ابن عمه الوليد بن عتبة وكان واليا على المدينة يأمره بأخذ البيعة من اهلها عامّةً ومن الحسين عليه السلام خاصة ويقول له ان ابى فاضرب عنقه وابعث اليّ برأسه فاستشار الوليد مروان بن الحكم فقال له لو كنت مكانك لضربت عنقه فقال الوليد ليتني لم اك شيئا مذكورا ثم بعث الى الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين من اهل بيته وموالية فنعى الوليد اليه معاوية وعرض عليه البيعة ليزيد فقال عليه السلام اذا دعوتَ الناس غداً فادعنا معهم ونهض لينصرف فقال مروان لاتقبل ايها الامير عذره وقد ابى فاضرب عنقه فغضب الحسين عليه السلام وقال ويلٌ لك يا ابن الزرقاء انت تامره بضرب عنقي كذبت والله ولؤمت ثم اقبل على الوليد فقال أنا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وبنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس معلن بالفجور ومثلي لايبايع مثله ثم خرج عليه السلام فقال مروان للوليد عصيتني فقال ويحك انك اشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي والله ما احب ان ملك الدنيا بأسرها لي وأني قتلت حسيناً أن قال لاابايع والله ماأظن ان احداً يلقى الله بدم الحسين الا وهو خفيف الميزان لاينظر الله اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم

واصبح الحسين عليه السلام فخرج يستمع الاخبار فلقيه مروان فقال له يا ابا عبد الله اني لك ناصح فاطعني ترشد فقال عليه السلام وما ذاك قل حتى اسمع فقال مروان اني آمرك ببيعة امير المؤمنين (يعني يزيد لعنه الله) فانه خير لك في دينك ودنياك فقال عليه السلام انا لله وانا اليه راجعون وعلى الأسلام السلام وطال الحديث بينهما حتى انصرف عدوٌ

(١) وهذا المجلس ايضا يناسب اليوم الاول من المحرم

الله وطريدُ رسوله الوزغُ ابنُ الوزغ وهو غضبان

وعن عمر بن امير المؤمنين عليه السلام قال لما امتنع اخي الحسين من البيعة بالمدينة دخلت عليه فوجدته خاليا بنفسه فقلت له جعلت فداك يا اباعبد الله حدثني اخوك ابو محمد الحسن عن ابيه ثم سبقتني الدمعة وعلا شهيقي فضمني اليه وقال حدثك أنّي مقتول فقلت حوشيت يا ابن رسول الله فقال سألتك بحق ابيك بقتلي خبّرك فقلت نعم فلو بايعت فقال عليه السلام حدثني ابي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخبره بقتله وقتلي وان تربتي تكون بقرب تربته اتظن انك علمت مالم اعلمه واني لا اعطي الدنية من نفسي ابدا ولتلقينّ فاطمة اباها صلى الله عليه وآله شاكية مالقيت ذريتها من امته ولا يدخل الجنة احد آذاها في ذريتها وكان الحسين صلوات الله عليه على يقين مما انتهت اليه حاله [1] حتى قال بأبي وامي من خطبة خطبها حين عزم على الخروج الى العراق وخير لي مصرع انا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني اكراشاً جوفاً واجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين

بهذا عهد اليه جده سيد النبيين وابوه واخوه سيدا الوصيين فعن الشعبي قال مرّ علي بارض فسأل عن اسمها فقيل كربلاء فبكى حتى بلّ الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى عليه وآله وهو

(١) كما اوضحناه في المقدمة فراجع منها صفحة ٤٨ وما بعدها الى صفحة ٥٦ لتعلم الحقيقة ولما كانت المقدمة لا تنبث مطالبها بين العامة لعدم مطالعتهم في الكتب غالبا وكنا حريصين على ايصال هذا المعنى اليهم اعدنا ذكره هنا ابتغاء لنشره على ألسنة قراء الأتم فلا نقد بهذا التكرير — وهذا الاعتذار مطّرد في كل ما يتكرر في هذه المجالس

يبكي فقلت مايبكيك بأبي انت وامي قال كان عندي جبرائيل فأخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء وروى الملأ في سيرته ان علياً مرّ بموضع قبر الحسين فقال هاهنا مناخ ركابهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والارض وعن الامام زين العابدين عليه السلام [1] قال دخل الحسين يوماً على الحسن عليهما السلام فلما نظر اليه بكى فقال مايبكيك قال ابكي لما يصنع بك فقال الحسن عليه السلام انه يدس الي سم فاقتل به ولكن لا يوم كيومك يا اباعبد الله يزدلف اليك ثلاثون الف رجل يدعون انهم من امة جدنا صلى الله عليه وآله فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها يحل الله ببني امية اللعنة وتمطر السماء دماً ورمادا ويبكيك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار

كفى بيومك حزنا انه جزعت ... له النبيون قدما قبل ان يقعا
بكاك آدم حزنا يوم توبته ... وكنت نورا بساق العرش قد سطعا
ونوح ابكيته شجوا وقلّ بأن ... يبكي بدمع حكى طوفانهُ دفعا
ونار فقدك في قلب الخليل بها ... نيران نمرود عنه الله قد دفعا
كلمت قلب كليم الله فانبجست ... عيناه حزناً دماً كالغيث منهمعا
ولو يراك بارض الطف منفردا ... عيسى لما اختاران ينجو ويرتفعا
ولا احب حياة بعد قتلكم ... ولا اراد بغير الطف مضطجعا [2]

* * * * * * * *

(١) فيما اخرجه الصدوق في امالية (٢) هذه الابيات من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلي

(و) لما امتنع الحسين عليه السلام (١) من البيعة ليزيد لعنه الله ولم يمكنه البقاء على تلك الحال في المدينة الطيبة خرج منها خائفا يترقب لثلاث مضين من شعبان سنة ستين حتى اتى مكة المعظمة فأقام فيها الى يوم الثامن من ذي الحجة ولما بلغ اهل الكوفة خبره عرضوا عليه النصرة وبذلوا له الطاعة والبيعة واعطوه على ذلك العهود والايمان واوثقوا انفسهم بكل ميثاق غليظ وجاءه منهم اولاً مئة وخمسون صحيفة ثم انفذوا اليه في يوم واحد ست مئة كتاب وتواترت بعدها كتبهم اليه حتى اجتمع عنده اثنا عشر الف كتاب وهو يتأنى ولا يجيبهم حتى قدم عليه هاني السبيعي وسعيد الحنفي بكتاب مختصر بليغ قد اشتمل على ضروب الحث والاستعجال وتضمن انواعا من بذل الانفس والاموال وعندها قام الحسين عليه السلام فصلى ركعتين بين الركن والمقام واستخار الله عز وجل ثم انفذ اليهم ابن عمه مسلم ابن عقيل وكان مما كتبه حينئذٍ في جوابهم وقد بعثت اليكم اخي وابن عمي وثقتي من اهلي وامرته ان يكتب اليّ بحالكم ورأيكم فإن كتب اليّ انه قد اجتمع رأي ملئكم على مثل ماقدمت علي به رسلكم اقدم عليكم وشيكا ان شاء الله فلما ورد عليهم مسلم بن عقيل عظم استبشارهم به وانزلوه دار المختار وكثر اختلاف الشيعة اليه وكلما اجتمع اليه جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين وهم يبكون حتى بايعه منهم ثمانية عشر الفاً وكتب عمر بن سعد واصحابه الى يزيد لعنه الله يخبرونه الخبر ومذ علم بذلك عزل النعمان عن الكوفة استضعافاً له وولّى عليها عبيد الله بن زياد لعنه الله جمعها له مع البصرة وعرفه امر الحسين عليه السلام وشدد عليه في قتل مسلم فأسرع اللعين حتى دخل الكوفة ليلا فظن اهلها انه الحسين عليه السلام فتباشروا

(١) هذا المجلس يناسب اليوم الاول ايضا

بقدومه ودنوا منه فلما عرفوه تفرقوا عنه وبات في القصر ثم خرج الغداة فأرهب الناس بوعيده، واخافهم بتهديده، وخرج مسلم من دار المختار، خوفا على نفسه من الاشتهار، فآواه هاني بن عروة فتربص ابن زياد بهاني الدوائر واستعمل المكر والدهاء والخداع والحيل حتى جيء به اليه فندّد به وشتمه وقال له جئت بابن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك فانكر هاني ذلك فقال ابن زياد عليّ بمعقل وكان عيناً له على أخبارهم فلما رآه هاني عرف أنه كان رصدا عليهم فسُقِط في يده ساعة ثم قال اصلح الله الامير والله مابعثت اليه ولا دعوته ولكن جاءني مستجيرا فاجرته واستحييت من رده فخلّني ارجع اليه وآمره بالخروج من داري لأخرج بذلك من ذمامه وجواره فقال له اللعين والله لا تفارقني حتى تأتيني به فقال والله لا آتيك به ابدا آتيك بضيفي لتقتله فقال والله لتأتيني به فقال والله لا آتيك به وكثر الجدال بينهما فقام مسلم بن عمرو الباهلي فخلا بهاني ناحية فقال له ياهاني انشدك الله لاتقتل نفسك وتدخل البلاء على عشيرتك فوالله اني لأنفس بك عن القتل ان هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه فادفعه اليهم فانه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة وانما تدفعه الى السلطان فقال هاني (رافعا صوته) والله ان عليّ الخزي والعار أن ادفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله (ص) وانا صحيح الساعدين كثير الاعوان والله لو لم يكن لي ناصر ولا معين لم ادفعه حتى اموت دونه فاخذ يناشده وهو يقول لا ادفعه ابدا فقال ابن زياد ادنوه مني فأدنوه منه فقال والله لتأتيني به اولأضربنّ عنقك فقال اذاً والله تكثر البارقة حول دارك فقال ابن زياد والهفاه عليك أبالبارقة تخوّفني وهاني يظن ان عشيرته سيمنعونه واستعرض ابن زياد وجه هاني بالقضيب فلم يزل يضرب به

انفه وجبينه وخده حتى كسر انفه وسالت الدماء على ثيابه ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هاني يده على قائم سيف شرطيّ فجذبه ليضرب به ابن زياد فصاح اللعين خذوه فاخذوه سحباوالقوه في بيت وجعلوا عليه حرسا

ياليتني كنت الفداء لانفس ... فدت ابن بنت نبيها بحياتها
خلعت قلوبُهم الحياة واقبلوا ... يتهافتون على ورود مماتها (١)

* * * * * * * *

(و)لما بلغ مسلمَ بنَ عقيل خبرُ هاني بن عروة خرج ثائرًا بمن معه فتحصَّن ابنُ زياد بالقصر واقتتل اصحابه واصحاب مسلم وجعل الذين مع ابن زياد في القصر يشرفون منه ويحذّرون اصحاب مسلم ويتهددونهم بجنود الشام فلم يزالوا كذلك حتى جاء الليل فتفرق اصحاب مسلم عنه فدخل المسجد ليصلي المغرب وليس معه الاّ عشرة ومذ سلّم لم يجد منهم احدا فخرج وحيداً فريدا لا يدري اين يذهب ولا يعرف كيف يصنع فوقف على باب امرأة يقال لها طوعة فسلّم عليها فردّت عليه فقال لها يا امة الله اسقيني ماء فسقته فجلس وادخلت الاناء ثم خرجت فقالت يا عبد الله الم تشرب قال بلى قالت فاذهب الى اهلك فسكت ثم عادت فقالت له مثل ذلك فسكت ثم قالت فِيْ لله سبحان الله ياعبدالله فاذهب الى اهلك فأنه لايصلح لك الجلوس على بابي ولا أُحلُّه لك فقال ياامة الله مالي في هذا المصر اهل ولا منزل فهل لكِ إلى اجر ومعروف ولعلي اكافئك به بعد اليوم فقالت وما ذاك قال انا مسلم بن عقيل كَذَبني هو ولاء القوم وغروني قالت أأنت

(١) هذان البيتان من قصيدة للشيخ عبد الحسين الاعسم

مسلم قال نعم والله اني لمسلم فأدخلته بيتا من دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ وجاء ابنها (وهو بلال بن اسيد الحضرمي) فعلم بمكان مسلم فوشى بذلك الى ابن زياد لعنه الله فأحضر محمد بن الاشعث وضم اليه ستين اوسبعين رجلا وانفذه لأحضار مسلم فلما بلغوا دار المرأة وسمع مسلم وقع حوافر الخيل خرج اليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم حتى اخرجهم منه ثم عادوا اليه فشد عليهم كذلك واختلف هو وبكير بن حمران الاحمري ضربتين فضرب بكير فمَ مسلم فقطع شفته العليا وبلغ السيف شفته السفلى وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة وثنّى بأخرى على حبل العاتق وجعل يحاربهم حتى قتل منهم جماعة فلما رأوا ذلك اشرفوا عليه من فوق ظهر البيوت فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في اطناب القصب فيرمونها عليه فخرج اليهم مصلتاً سيفه فقاتلهم في السكة وهو يقول

اقسمت لا اقتل الاّ حرا ... وان رأيت الموت شيئا نكرا
كل امرىء يوما ملاق شرا ... ويخلط البارد سخنًا مرا
اخاف ان أُكذَب او اغرا ... اضربكم ولا اخاف ضرا

فناداه ابن الاشعث انك لا تُكذَب ولا تُغرّ ولك الامان فلم يلتفت الى ذلك وتكاثروا عليه فطعنه رجل من خلفه وانتزعوا سيفه وكأنه عند ذلك يئس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هذا اول الغدر اين امانكم انا لله وانا اليه راجعون وبكى فقيل له ان من يطلب مثل الذي تطلب لايبكي اذا نزل به مثل الذي نزل بك قال والله ما لنفسي ابكي ولا لها من القتل ارثي وان كنت لا احب لها طرفة عين تلفا ولكن ابكي لأهلي المقبلين اليّ ابكي لحسين وآل حسين ثم اقبل على ابن الاشعث فقال له انك ستعجز عن اماني فهل تستطيع ان تبعث رجلا على لساني يبلغ حسيناً

فاني لا اراه الا قد خرج او هو خارج غدا وإنّ ماترى من جزعي — لذلك
فيقول له ان ابن عقيل بعثني اليك وهو اسير في ايدي القوم لا يرى انه
يُمسي حتى يقتل وهو يقول لك ارجع فداك ابي وامي بأهل بيتك ولايغرنك
اهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت اوالقتل
ان اهل الكوفة كذبوك وليس لمكذوب رأي وانتهي بابن عقيل الى باب
القصر وقد اشتد به العطش فأذا قلةٌ بها ماء بارد فقال اسقوني من هذا الماء
فقال له مسلم بن عمرو اتراها ما ابردها والله لا تذوق منها قطرة ابدا حتى
تذوق الحميم في نار جهنم فقال له ويلك من انت فقال انا الذي عرف الحق
اذ انكرته ونصح لأمامه اذ غششته وسمع واطاع اذ عصيت وخالفت
انا مسلم بن عمرو الباهلي فقال له ابن عقيل لأمك الثكل ما اجفاك
وافظّك واقسى قلبك انت يا ابن باهلة اولى بالحميم والخلود في نار جهنم
ثم تساند الى الحائط فأُتي بماء فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دما فلما ذهب
بالثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح فقال الحمد لله لو كان من الرزق
المقسوم لشربته وأُدخل على ابن زياد فلم يسلم عليه بالأمرة فقال الحرس
الا تسلم على الامير فقال اسكت ويحك والله ما هو لي بامير فقال ابن زياد
لاعليك سامت ام لم تسلم فأنك مقتول شر قتلة فقال له مسلم انك والله لاتدع
سوءَ القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوم الغلبة لاحد اولى بها منك
فقال ابن زياد ياعاق ياشاق خرجت على امامك وشققت عصا المسلمين
والقحت الفتنة بينهم فقال مسلم كذبت انما شق عصا المسلمين معاوية وابنه
وانما القح الفتنة انت وابوك وانا ارجو ان يرزقني الله الشهادة على يدشرّ بريته
فقال ابن زياد متّك نفسك امراً حال الله دونه وجعله لاهله فقال مسلم
ومن اهله يا ابن مرجانة اذا لم نكن نحن اهله فقال اهله امير المومنين يزيد

فقال مسلم الحمد لله رضينا بالله حكما بيننا وبينكم فقال ابن زياد يامسلم
بماذا اتيت هذا البلد وامرهم ملتئم فشتّتَ امرهم وفرقت كلمتهم فقال
مسلم ما لهذا اتيت ولكنكم اظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمرتم على
الناس بغير رضى منهم وحملتموهم على غير ما امركم الله به وعملتم فيهم باعمال
كسرى وقيصر فأتيناهم لنامر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم
الى حكم الكتاب والسنة وكنا اهل ذلك فجعل اللعين يشتمه ويشتم علياً
والحسن والحسين وعقيلا فاعرض عنه مسلم حينئذ ولم يكلمه بعدها ابدا
ثم امر ابن زياد بكير بن حمران ان يصعد به الى اعلا القصر فصعد به
وهو يسبح الله ويستغفره ويصلي على النبي وآله فضرب عنقه ورماه من اعلا
القصر ثم امر لعنه الله بهاني بن عروه فأخرج وضربت عنقه وجعلوا يجرونهما
بارجلهما في الاسواق وأمر بعد ذلك بجثّتيهما فصلبتا بالكناسة وبعث
برأسيهما الى يزيد لعنه الله فشكره على ذلك وامره بقتل الحسين عليه السلام

بنفسي وآبائي نفوسا ابية ... بجرعها كاسَ المنية مترَف
تُطَلّ باسياف الضلال دماؤها ... وتلغى وصايا الله فيهم وتحذف
وهم خير من تحت السماء بأسرهم ... واكرم ممن في السماء واشرف
كرام قضوا بين الاسنة والظبى ... كراما ويومُ النقع بالنقع مسدف (١)

* * * * * * * *

(١) الى آخر القصيدة وهي للشريف الفاضل السيد حيدر الحلي عليه الرحمة

(و) لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج من مكة الى العراق قام خطيبا فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ماشاء الله ولا قوة الا بالله وصلى الله على رسوله خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما اولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع انا لاقيه كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني اكراشاً جوفا (١) واجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا اهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده الا ومن كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فأني راحل مصبحا ان شاء الله

وجاءه اخوه محمد بن الحنفية تلك الليلة فقال ياأخي ان اهل الكوفة من عرفت غدرهم بابيك واخيك وقد خفت ان يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت ان تقيم فانك اعز من في الحرم وامنعه فقال ياأخي قد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت فقال له ابن الحنفية فإن خفت ذلك فسر الى اليمن او بعض نواحي البر فانك امنع الناس به فقال انظر فيما قلت فلما كان السحر (من تلك الليلة وهي ليلة الثامن من ذي الحجة سنة ستين) ارتحل عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فاخذ زمام ناقته وكان قد ركبها فقال له ياأخي الم تعدني النظر فيما سألتك قال بلى قال فما حداك على الخروج عاجلا قال اتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال ياحسين اخرج فان الله شاء ان يراك قتيلا فقال ابن الحنفية انا لله وانا اليه راجعون فما معنى حملك هذه النسوة وانت تخرج على مثل هذه الحال

(١) هذا كناية عن قتله ونبذه بالعراء وتركه عرضة لما ذكره (ع)

فقال له ان الله شاء ان يراهن سبايا وذكر الشيخ المفيد (١) انه لما سار من مكة لقيه افواج من الملائكة المسومين والمردفين في ايديهم الحراب على نجب من نجب الجنة فسلموا عليه وقالوا ياحجة الله على خلقه بعد جده وابيه واخيه ان الله عز وجل امدّ جدّك صلى الله عليه وآله بنا في مواطن كثيرة وان الله امدك بنا فقال لهم الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء فاذا وردتها فاتوني قالوا ياحجة الله ان الله امرنا ان نسمع لك ونطيع فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك فقال لا سبيل لهم عليّ ولا يلقونني بكريهة او اصل الى بقعتي وأتته افواج من موءمني الجن فقالوا يامولانا نحن شيعتك وانصارك فمرنا بما تشاء فلو امر تنا بقتل كل عدو لك وانت بمكانك لكفيناك ذلك فجزاهم خيرا وقال لهم اما قرأتم قوله تعالى (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) فاذا اقمت في مكاني فبما يمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يختبرون ومن ذا يكون ساكن حفرتي وقد اختارها الله تعالى لي وجعلها مقلا لشيعتنا تقبل فيها اعمالهم وصلواتهم ويستجاب بها دعاؤهم وتسكن اليها شيعتنا فتكون لهم امانا في الدنيا والآخرة ولكن تحضرون يوم عاشوراء الذي في آخره اقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من اهلي ويسار برأسي الى يزيد بن معاوية فقالت الجن والله ياحبيب الله وابن حبيبه لولا ان امرك طاعة وانه لا يجوز لنا مخالفتك لخالفناك وقتلنا جميع اعدائك قبل ان يصلوا اليك ثم سار عليه السلام حتى نزل الثعلبية وقت الظهر فوضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال رأيت هاتفا يقول انتم تسرعون والمنايا تسرع بكم الى الجنة فقال له شبله علي ياأباه ألسنا على الحق فقال بلى ياابني والله الذي اليه مرجع العباد فقال ياأباه اذاً لا نبالي بالموت فقال الحسين عليه السلام

(١) في كتاب مولد النبي (ص) واوصيائه صلوات الله عليه وعليهم

خير ما جزى ولدا عن والده وبات بالثعلبية فلما اصبح وافاه ابو هرة الاسدي فسلم عليه ثم قال يا ابن رسول الله ما الذي اخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا ابا هرة ان بني امية اخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت وايم الله لتقتلني الفئة الباغية وليلبسنهم الله ذلاً شاملا وسيفاً قاطعا وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا اذل من قوم سبا اذ ملكتهم امرأة فحكمت في اموالهم ودمائهم ثم سار حتى بلغ زبالة فاتاه فيها خبر مسلم ابن عقيل فعرف بذلك جماعة ممن تبعه فتفرق عنه اهل الاطماع والارتياب وبقي معه من يريد مواساته والموت معه ولما أُخبر بقتل مسلم بن عقيل قال سلام الله عليه (وقد استعبر باكيا) رحم الله مسلما لقد صار الى روح وريحان وجنة ورضوان اما انه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا

حنانيك يا معطي البسالة حقها ... ومرخص نفس لا تكاد تسام
فهل لك في وصل المنية مطلب ... وهل لك في قطع الحياة مرام
فليت اكفاً حاربتك تقطعت ... وارجل بغي جاولتك جذام
أصبت فلا يوم المسرات نير ... ولا قمر في ليلهن تمام
الا ان يوما اي يوم دهى العلى ... وحادثة يُجثى لها ويقام
غداة حسين والمنايا جلية ... وليس عليها برقع ولثام
ومن حوله أبنا ابيه وصحبُهُ ... كمثل الاضاحي غالهن حِمام
على الارض صرعى من كهول وفتية ... فرادى على حر الصفا وتُواء
وما انسَ لا انسَ النساء كأنها ... قطا بين اجراع [illegible] حيام

* * * * * * * *

(١) هذه الابيات من قصيدة في رثائه عليه السلام لا